

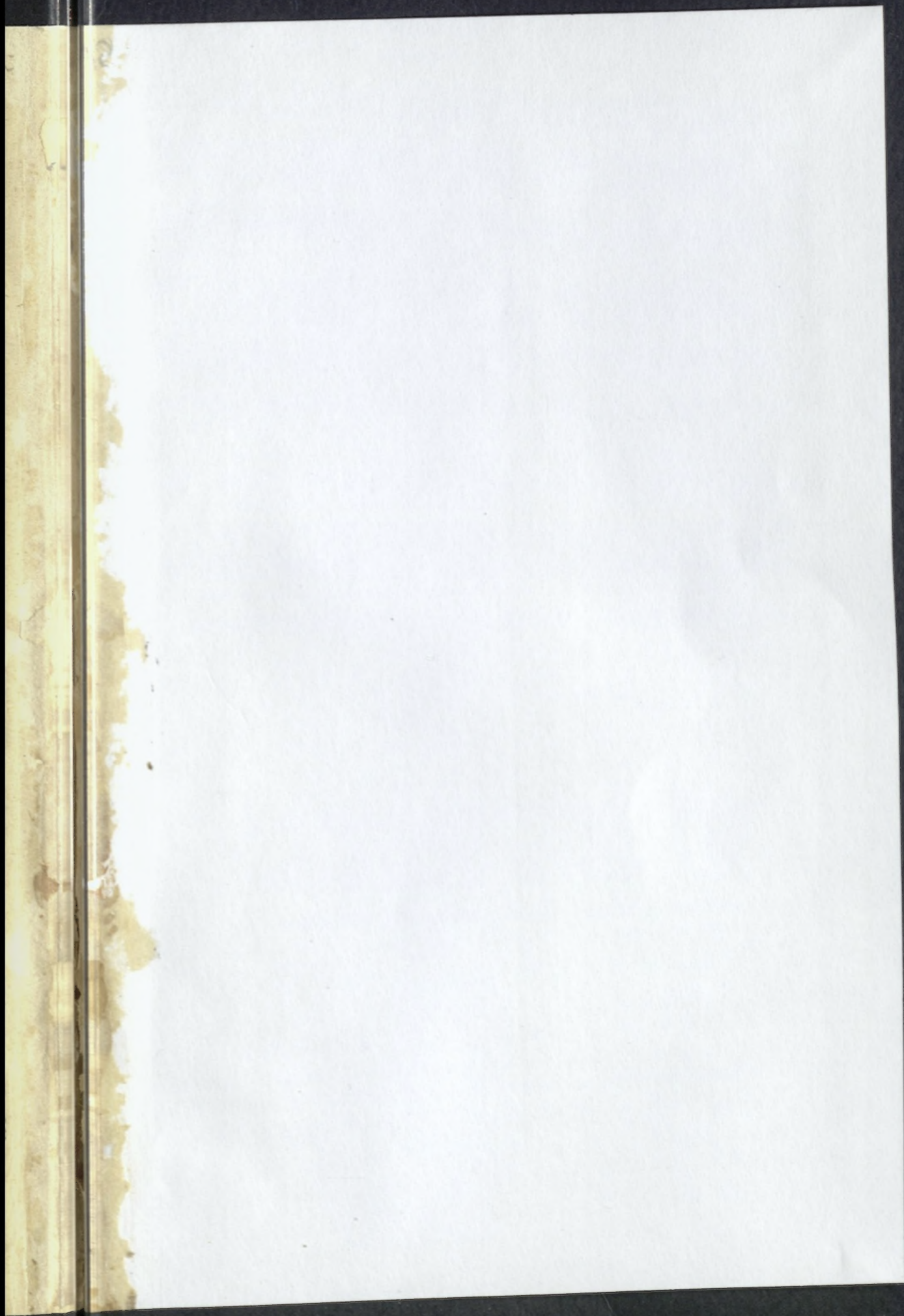
923.2001: M629SA: C.1

AUB. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY



923.2561

M629sA

c.1

توفيق كبوش

تاريخ

مكتبة التوفيق

سوق الحميدية

Laurie Tawfik

Beirut

مدحت باشا

جمعية الاتحاد والترقي العثمانية

بقلم عزرا سمويل ساسون

مفتش مطبوعات ولاية حلب

ومدرس في مكانها سابقاً

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

« ثمن النسخة عشرة غروش صاغ »

« بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية »

سنة ١٩١٠

8:51
9225

مقدمة

الحمد لله الذي نصر الاحرار وهو الواحد القهار فنلنا
نعمة الدستور واصبحنا في عصر النهضة والعلم والنور . اما بعد
فالامم الراقية تحافظ كل المحافظة على توارىخ رجالها العظام ولا
تترك من حياتهم واعمالهم شاردة الا وضبطتها ودونها تقديرًا
لفضلهم وتخليدًا لذكورهم وافخارًا بهم ولذلك رأيت ان اثبت
في هذا الكتاب تاريخ حياة المرحوم مدحت باشا ابي الدستور
العثماني والمصلح العظيم صاحب الفضل الكبير الذي يجدر بالامة
العثمانية الكريمة ان تعظم اسمه وتبجل ذكره ولا شك في ان كل
عثماني حر يتطلع الى تاريخ حياته بشوق شديد وذلك ما يجعلني
على ثقة من ان عملي قد جاء في محله وهو يصادف حسن
القبول وينلوه تاريخ جمعية الاتحاد والترقي تلك الجمعية المقدسة
صاحبة الايادي البيضاء على الدولة العلية والبلاد العثمانية فهي

التي سعت السعي الاوفى في سبيل نشر الحرية والعدالة والمساواة
والفضل فضائها فيما وصلت اليه الدولة من النهضة والقوة والنعمة
فتاريخها اهم مما نتوق الى معرفته النفوس بل ان معرفته واجبة
على العثمانيين الصادقين وفيها خير ذكرى للذاكرين وخير
قدوة للمقتدين . وقد اضفت الى ما تقدم بيانه فصولاً شتى في
موضوعات مهمة تتعلق بالجنسية العثمانية والبحرية والزراعة
حتوياً الفائدة العامة وخدمة الدولة والامة واتبعها بمنتخبات
شعرية رائعة فعسى ان يصادف كتابي حسن القبول والله ولي
الامال سميع الدعاء مجيب النداء



طفولية المرحوم مدحت باشا

وُلد المرحوم مدحت باشا في الاستانة العلية سنة ١٨٢٢ ميلادية فكانت طفولته معرضة لاشد الاضطرابات بسبب الازمة السياسية الهائلة التي ضربت اطنابها في الدولة العلية العثمانية والحروب المستمرة التي قضت على بعض ولاياتها وكادت تمزقها تمزيقاً فاتحاً عليها ابواب الضغط والانتقام والدسائس والمشاكل حتى اظلم جو السياسة واستحكمت حلقات الفتن واصبحت الدولة في اشد المخاطر والمهالك

ولقد قام ساكن الجنان السلطان محمود خان الثاني بصلح الامور ويدبر الشؤون فضرب الانكشارية ضربة شديدة وقضى على اولئك الذين كانوا معاكسين للحكومة فحقاً كان الانكشارية عنصراً خطيراً ولكنهم كانوا لدى الحاجة والضرورة ركناً يستعان به وقد فات الدولة ان تعد فرقة اخرى لتقوم

مقامهم فمن وراء هذا الخطاء باتت الدولة في وادي الارتباك
وتراكت عليها المشاغل والمشاكل وهي حال كادت تؤدي بها
الى الخراب

فانتشرت الفوضى في جميع ارجاء السلطنة العثمانية طولا
وعرضاً لسوء تصرف الساسة الكبار من اعيان وموظفين لانهم
اخذوا يهيجون الخواطر ويمحضون اولئك المساكين الذين
يجهلون الحق ولا يميزونه من الباطل على كل شيء مخالف للنظام
فعليه اخذل الامن العام وضاع النظام والانتظام فكانت
نشأة المرحوم مدحت باشا في هذا الطور الغريب والزمان
العجيب فبات يتراوح بين القلاقل والمتاعب والاسف والتأثر
العظيم من هذه الحال والمسلك الضار للبلاد والعباد باختلال
الامن واضطراب المصالح واستبداد الحكام وتبديد اموال
الدولة

ثم استمر الحال على هذا المنوال بضع سنين وما اخذت
الغيوم تنقشع من افق السياسة العثمانية الا في النصف الثاني
من عهد السلطان محمود خان الثاني حيث بدت نهضة جديدة

كسبت فيها روح التنظيم ثباتاً وحزمًا قوين
 فضاعف مدحت حينئذ همته وكان ميله الى الخوض في
 اعظم الامور شديداً ووقوفه على شؤونه دولته تاماً فصارت تلقى
 العلوم عن ابيه بكل جهد واجتهاد

وكان ابره في ذلك الحين من اكبر الميالين الى الترقى والعمران
 ومن اعظم السياسيين بين رجال الدولة ومثال الاستقامة
 والنزاهة وعنوان الفضل والكمال فكان لابنه مدحت اول استاذ
 فنعم الاستاذ ونعم التلميذ

لقد كان تقدم هذا التلميذ باهراً ونجاحه سريعاً فدخل
 في دوائر الحكومة للتمرن وعمره وقتئذ اثنا عشر عاماً وما انقطع
 عن درس العلوم عن ابيه فكان مداوماً عليها اثناء الليل واطراف
 النهار وخصص لها جميع قواه العقلية وهكذا تعلم وتقرن على
 الاعمال وبرع في الامور الداخلية والخارجية وادرك الصعوبة
 التي وفقت سداً منيماً دون التنظيمات اللازمة بسبب الاغراض
 الشخصية التي كانت اشد الرذائل وراس المعاصي
 فبعد هنيهة من الزمان استفاد السلطان محمود خان نوعاً

من الهدوء والسكينة التي سادت في الدولة مدة وجيزة وادخل
اصلاحاً كثيراً في العسكرية والمالية والعلمية

مدحت في عهد عبد المجيد

سار ساكن الجنان السلطان عبد المجيد في مضمار التقدم
والنجاح على خطة السلطان محمود خان الثاني واعلن الخط الشريف
الذي بمقتضاه جدد اصول المحاكمات والنظامات في جميع دوائر
السلطنة العثمانية

فلما استراح باله من قبل الحوادث الداخلية ومن قبل
عواصف السياسة الخارجية ثفرغ لتطهير المملكة من الذين
كانوا متمسكين بحبال الاستبداد يستفيدون من احوال الدولة
الخرجة ويملاون بطونهم بالدنانير من هضم الحقوق وسلب
حرية منكودي الحظ ظلماً واغتياً

ولما شرع السلطان في عمله هذا تألف حزب قوي لمقاومة
الخطوة الاجرامية القاضية على سوء اعمالهم فكان حينئذ لمدحت

عمل شريف وحزم نادر المثل وكان من المحال ان يتحول عن خطته في سبيل خدمة الوطن وعن افكاره الراقية لياتحق بالذين يضمرون الشر لوطنهم ويميلون الى فساد الآداب ورداءة العادات وسيادة الجهل لتنفيذ ما ربههم ويبغضون السير في سبيل اصلاح بلادهم وهكذا كان مدحت مخلصاً لدولته وشرفاً على ابناء وطنه

مدحت وشيخ الاسلام

المرحوم عارف بك

وقد تلقى مدحت بعض الدروس على المرحوم عارف بك شيخ الاسلام في ذلك الحين فكانت تلك الدروس تشد ازره وثقوي فيه روح التقدم والعمران وترسخ في عقله المبادئ السامية التي اكتسبها عن ابيه

وقد كان عارف بك معروفاً بنزاهة الفكر واصالة الرأي وحسن السجايا وكرم المزايا عالماً متشوراً من نخبة علماء الدولة في ذلك الوقت ومن زعماء المصلحين المشهورين ومن اشهر المباليين الى المبادئ الدستورية الحرة

هذا وكان يخطب خطباً نفيسة بفصاحة لسان وقوة
جنان ويعرب عن افكاره السامية وينادي من اعلى المنابر ان
المباديء الدستورية ليست مخالفة للديانة ولا مضرّة به لانّه كان
بعيداً عن العقائد المضرّة بالاصلاح وغير معارض ومخالف لما
يصالح في دوائر الحكومة على نمط الدوائر الاوروبائية حتى انه
قال ما معناه :

« لقد منعنا عن الالتحاق بما يضر في اساس الديانة الا ان
ما يعمل الان هو مطابق لها فلا لزوم لرفضه او رده ومنعه بالنظر
الى اصله ومنشأه لانها لا تمنع تقليد ما اوصت به »

على انه قد استحسنّت هذه المباديء هيئة كبيرة من
الاعيان والموظفين اولئك الذين لم يكن على عقولهم غشاوة
والتحق بها كثيرون من المحافظين الذين لم توهّث فيهم اقوال
المأخوذون بحجب الاغراض حتى هدأت الافكار واستراحت
الخواطر واخذت المعارضات والدسائس تدخل في حكم الخيال
وفي اثناء ذلك ادخلت عدة تنظيمات في دوائر الولايات
على قدر ما سمحت به الظروف واستطاعت الاحوال . ولما

كان قد اشترك المرحوم مدحت باشا في هذا التنظيم لدفع البلاء
الدائم فقد صار يجتهد في المساعي المبرورة والاعمال المشكورة
طبقاً لمصلحة البلاد ورغماً عن صغره واحداثته في شئون
السياسة فكان لهذا التنظيم اشد عامل واكبر مساعد وضاعف
غيرته على اثر هذه الاعمال الشريفة التي شجته ليدوم على خطته
الادارية

مدحت والمرحوم فائق بك

ثم التحق مدحت بفائق بك الذي كان وقتئذ كاتباً في
قلم المحاسبة وفي سنة ١٨٣٨ قصدا سوريا وكان عمر مدحت
سنة عشر عاماً

فلبثا في ولاية سوريا ثلاث سنوات وعاد مدحت الى
الاسنانة حيث استلم وظيفته في قلم المحاسبة وبعد مدة وجيزة
انتدبته الحكومة لبعض امور مهمة في مراكز الولايات
وفي اثناء ذلك قسم السلطان عبد المجيد الدولة العثمانية

الى ست وثلاثين ولاية وكل ولاية الى ثلاثة اقسام الاول
المتصرفية والثاني القائمقامية والثالث المديرية

ومع هذا التقسيم كان لولاية الولايات ابواب كثيرة
للتخلص من مراقبة السلطة الرئيسية في الاستانة العالية رغما عن
التقسيم الاداري المار ذكره وعن النظام الاداري الجديد
للولايات الذي جعل في جميع انحاء السلطنة تبديلا ظاهرا
وتغييرا ناطقا في كافة الدوائر والمصالح

ولما رأى الولاة المجال حرا في اثناء هذا الانقلاب اتوا
بأعمال منكرة وتعدوا على الهيئة المحكومة حتى اصبح الخط الشريف
للتنظيمات في خطر شديد وكاد يذهب كصرخة في واد فعلية
قامت الاهالي وقعدت وهاجت الخواطر وصارت الشكاوي ترد
من كل حدب وصوب والتقارير ترفع من كل بلدة والعرائض
ترسل من كل ناحية وقرية وتمطر على المراجع العليا ضد
الولاة والمتصرفين والقائمقامين لما ظهر منهم وما اتوا به من
الجور والاستبداد

فكانت الحال وخبة اقلقت بال الحكومة التي استاءت

كثيراً واخذت تفكر ساهرة في هذه الحالة الخطيرة وفي إيجاد
الدواء الشافي والضمان الكافي لتضرب على ايدي المعتدين وثقاوم
الارتجاعيين وتبقي شر المفسدين فخطر لها الدواء الناجع الا وهو
« اللجان الاعمارية »

مدحت والمجالس الاعمارية

اخذ المجلس الاعلى على عاتقه تشكيل هذه اللجان وتنظيمها
وتدبيرها وترتيبها فكل لجنة حوت ثلاثة اعضاء احدهم من
صف الضباط واثنيهم من الاعيان وثالثهم من العلماء
ولقد كان من مهمة هذه اللجان ان تطوف وتجول في المدن
العثمانية حيث تأخذ الاستعلامات اللازمة عن ولاية الامور
وتنزع السلطة الادارية من ايدي الذين تعدوا على الاهالي
واسببوا ثم تقترح ما يلزم اتخاذ واجراؤه ليقف الضرر عند
حده فيستفاد مما تقدم ذكره ان خطة المجالس الاعمارية كانت
حميدة ومهمتها دقيقة وصفتها الاجرائية مقبولة ومرضية والدليل

الساطع والبرهان اللامع هو المنشور الذي اصدره الباب العالي
في ١٣ ابريل سنة ١٨٤٥ ونشر في كافة الولايات وهكذابت
الباب العالي فيه يقول

« قد استدعينا من الولايات نخبة ابناء الوطن وافضلهم
لكي ندقق ونبحث في الحالة الحاضرة وفي ما هو بهم سعادة
وراحة الامة العثمانية وليكن معلوماً انه لم يكذب الباب العالي
يصدر الاوامر بهذا الشأن الا واعلنت الانتخابات في جميع
جهات الدولة وانتخبوا رجالاً من ذوي المقدرة والكفاءة الجديرين
باليابة عن الامة وقد تداولنا معهم وتشاورنا فيما بهم لراحة العباد
وخير البلاد طبقاً لما ابدوه من الاراء السديدة والحقائق
الظاهرة والافكار الصائبة والاقتراحات المفيدة فلا ريب
في ان للباب العالي الان الوسائط الكافية لمنع الفظائع ورفع لواء المساواة
والعدالة وقد استقر رأي الحكومة على ترتيب النظمات والقوانين
العادلة وحين تنتهي « المضبطة » التي باشرنا في عملها سننقل
من القول الى العمل بهيئة منتظمة ونقدم الالهم على المهم وبما
ان حضرات المبعوثين من اعيان واشراف البلاد وعمدها فاذا

استقروا هنا كثيراً يعطون سير الاجراءات التي اخذت مجراها
 في بلادهم فالغرض من استعدادنا لهم تأليف مجلس لنتمكن من
 تقرير ما هو مفيد للامة ولنفيدهم عما هي عليه حكومة الاستانة
 الان من الاخلاص والثقة نحو الامة ومتى عاد المبعوثون الى
 بلادهم فهم يخبرون الامة عن عزم الحكومة وحزمها في احقاق
 الحق وازهاق الباطل والمجاهدة في سبيل رفعها الى اوج العلاء
 طبقاً لما شاهدوا وسمعا فبنوا على ما تقدم يبرح المبعوثون دار
 السعادة عائدین الى بلادهم ومنها ينتقلون من مكان الى مكان
 ومن قرية الى اخرى حيث يلقون على الشعب الخطب النافعة
 ويجمعون باراياء الامور ومأموري المحاسبة ويبحثون معهم
 في كل ما يعود على الوطن بالسعادة وقد تشاور وتداول مبعوثو
 البلاد وطرقوا جميع الابواب فلا شك في انهم متى عادوا
 الى مواطنهم سيشتغلون باتفاق تام متضافرين متحدين حتى ان
 جميع ما يأتون به من استعدادات واقتراحات واجراءات سيرمون
 بها الى غرض واحد الا وهو سعادة العباد وخير البلاد ان شاء

الله وهو السميع المجيب . «

فما كاد يصدر هذا المنشور عن المجالس الاعمارية الا وعزمت
 اللجان على اتخاذ التدابير اللازمة وتسوية الاعمال الضرورية
 فالتحق مدحت بهذه اللجان واستلم اولاً وظيفة سكرتير
 في ولاية قونية وبعد ذلك في ولاية قسطنطيني
 وفي هاتين الوظيفتين تمكن من الوقوف على اعمال الحكومة
 وادرك لزوم مراقبتها وخطأ السلطة الادارية والخطا التي
 تؤدي الى اصلاحها فكان لمدحت فائدة جمة من هذا التحقيق
 والدليل على ذلك العرائض التي كان يجررها ويقدمها الى
 الباب العالي

مدحت والوزير رشيد باشا

ملك مدحت القلوب وكسبت عرائضه شهرة عظيمة لما
 فيها من اصالة الرأي وسلاسة الانشاء ورقة المعاني حتى كان
 الوزير الشهير رشيد باشا معجباً بها غاية الاعجاب
 وقد ادار رشيد باشا شؤون الدولة مدة طويلة فكان من

الذين يقدرّون ارباب اللياقة والكفاءة حق قدرهم ويشجعونهم
في سبيل خدمة الوطن

فسعى رشيد باشا بتوظيف رجال اكفاء اهل غيرة ومن
ذوي النزاهة والذكاء ليصبحوا ذات يوم ركناً متيناً وعضداً
قوياً تستعين بهم الدولة وتستفيد منهم الامة

فاستدعى حينئذ المرحوم مدحت باشا وكلفه برئاسة قلم
المضابط ولا يخفى على احد ما لهذه الوظيفة من المسؤولية والاهمية
وما تحتاج اليه من عناء وكد في ذلك الوقت الذي كانت فيه
العرايض تملو العرايض والنقارير تملو التقارير واللوائح تملو
اللوائح طوراً من قبل اللجان الاعمارية وتارة من لدن ولاية
الولايات ومرة من مجالس الادارة في الولايات واخرى
من الاهالي فكان مدحت يقرأها ويدققها ويفرزها ويصححها
ليعرضها على المراجع الايجابية للعمل بها ولتنفيذ معانيها

فمليه اكتسب مدحت ثقة الوزارة وقمرن على كيفية
ادارة الاعمال الرسمية حيث كانت كافة تنظيمات وتنسيقات
الولايات تدور على محور وظيفته وعلى دائرة المجلس الاعلى الذي

كان موظفاً فيه
ومن يقرأ البند الثاني من الازادة السنوية التي صدرت
بانشاء هذا المجلس الاعلى يدرك مبلغ اهميته ودرجة
اختصاصاته

« بناء على احتياج شئون الدولة العلية الحاضرة لرجال
اكفاء في امور الاقتصاد السياسي قد قررنا زيادة اعضاء
مجلس العلية على قدر ما تمس اليه الحاجة ونقتضيه الظروف
ونضيف اليهم بعض رجال الدولة من الوزراء والاعيان حتى
يشغلوا في ترتيب النظمات الضامنة والقوانين اللازمة
لحياة البلاد »

هذا ولم يكن هذا المجلس الاعلى في الحقيقة الا كناية
عن مجلس شورى القوانين ولوائه كان يقترح احيانا بعض
الاقتراحات الا انه لم يكن قراره نافذاً بصورة قطعية قبل
اكتساب ثقة الوزارة وتصديقها

ومع ذلك قام باعمال عظيمة حيث كان لقبه المجلس
الاعلى وقع عظيم في نفوس الاعيان والاهالي والامراء وذلك الوقع

هو الذي كان يساعده في سير اعماله وتنفيذ نظاماته
فبدأت الحالة حينئذ تتحسن واخذت الحكومة تنظر
في اصلاحات شتى وادخلت تنظيمات عديدة واجرت تعديلات
مهمة وقامت بمهمات فائقة حتى قلبت الادارة رأساً على عقب
ولكن بينما الاصلاحات جارية مجراها اذ ظهرت اسباب
جديدة تعرقل سيرها واحمها الصداقة التي تمكنت بين موظفي
الحكومة واعضاء المجلس فكان لكل موظف صديق في
المجلس يدافع عنه وينفي الشكاوي والتقارير التي يقدمها ضده
ولا الامور في الولايات هذا ما كان علة العزل وسبب البلى
ومصدر الاخطار ومعتلاً مواصلة سير الاعمال ومساعدات لتيار
الاستبداد الهائل وكم من اوراق تركت في زوايا الاهمال
فيظهر مما تقدم ذكره مبلغ اهمية وظيفة السكرتير هذا
ولا سيما ان تلك الوظيفة في يدي مدحت الذي جعل كل
همه تأدية عمله بامانة واخلاص مبتعداً عن ذوي الاغراض
وعن الاحزاب السياسية التي كانت في ذلك الحين لا تفر
الا الشر والبلاء فاكسب مدحت الثقة العمومية وذاع

ذكره بين الوطنيين والاجانب في كل مكان
 فلعبت الغيرة بقلوب حساده وجعلوا ينازعونه وظيفته حتى
 استقال منها ولكن اعداءه لم يقفوا عند ذلك الحد بل اخذوا
 ينصبون له المكائد ليوقعوه في بلاء اشد وذلك بان ينتدب
 لأمورية صعبة يعمد عليه النجاح بها فيرجع بالفشل خائب
 الامل فاقد النفوذ وهكذا يدخل ذكره في خبر كان وتذهب
 امانيه ادراج الرياح

اما مدحت فكان يمثل بقول المتنبي
 ولا اظن بنات الدهر تتركني
 حتى تسد عليها طرقها هممي

مدحت في الروم ايلي

ما كان قد زحف جيش الدولة العلية وحزم والتحق به
 جيش دولة انكلا ترا وانتظم للمحافظة على حقوق الدولة العلية وكرامتها
 في حرب شبه جزيرة القريم كانت دولتنا وقتئذ تقاوم العصابات

في بعض الولايات فانتشرت الاشقياء في ولايات تساليا وبيريا
وبين حدود البوسنة والمهرسك والبانيا وعلى ما يقال كانت هذه
الثورة مدبرة من قبل روسيا الا انه مهما تنوعت الاسباب يجب
اخمادها والضرب على ايدي الطاغين بلا اهمال

وقد كلفت حكومة الاستانة المرحوم فواد باشا لاختاد
ثورة تساليا وعينت مدحت باشا لاطفاء ثورة الروم ايلي

سابقنا وذكرنا ان مقصد اعدائه من وراء هذه المأمورية
كان ايقاعه في مأزق حرج ولكنه قبل القيام بهذه المهمة
متكلا على ذي القدرة الصمدانية وقصد المواقع المستعرة
نارا بهدوء وسكينة للنظر في مهامها وتدير احوالها

فاقام اياماً يصلح ما فسد ويخمد من الشر ما وقد واعدل
جوانح امورها ويهذب مراتب مصالحها هذا وقد خلقت له
الليالي تعباً على تعبهِ وعملاً فوق عمله فان الجراكسة
الذين كانوا هجروا موطنهم على اثر تغلب الروس عليهم وانتشروا
في جهة تركيا اوروبا على حدود بلغاريا وعن بعد مسافة قليلة
من حدود الصرب والبانيا هبوا الى التمرد والعصيان

رغمًا عن كونهم اكدوا للباب العالي اخلاصهم للدولة وقسموا
 عيّن الطاعة حتى قبلهم بارتياح واكرام
 فاستخدم مدحت حكمته واستعمل شؤونا مختلفة وامورا
 متنوعة وكثيرا من الوسائط الفعالة حتى اوقفهم عند حدهم وثبتهم
 في وطنهم الجديد وجعل يمهّد لهم الطرق التي تمكنهم في اعمالهم
 ثم اعد شراذم عسكريه تجول في الشوارع وتطوف في القرى
 ساهرة على النظام والراحة العمومية حتى قطع دابر الاشقياء في
 كل نقطة ومكان

وبينما كان مدحت يخمّد ثورة الثائرين كان من جهة
 اخرى يهتم لشؤون الغير الثائرين ويقدم لهم القوت ويعطيهم
 الآلات الزراعية ويهبهم قطعاً من الاراضي ليتحرروا فيها على
 الحراثة والزراعة وجعلهم تحت رعاية الباب العالي ووعدهم
 بالمكافآت وبتوسيع دائرة اعمالهم ونطاق زراعتهم ولو اقتضت
 الحال نفقات طائلة هذا والحمد لله وبفضله قد ساد الامن في
 تلك الجهات فنجح مدحت في هذه المهمة نجاحا باهرا ترك
 اعداءه في خجل وحساده في خيبة وخذل وضاعت دائرة نفوذهم

ووقعوا في الحيرة والارتباك

وقد استدعته حكومة الاستانة وشكرته واثنت على اعماله
وانعمت عليه مكافأة له برتبة الممايز واعادته الى وظيفته في
المجلس الاعلى في الاستانة

مدحت والجهش المتحد

وضعت الحرب اوزارها بعد فوز الدولة العلية ومن
المعلوم ان انكلترا وفرنسا وايطاليا انجذت الدولة بفرق من جنودها
ولما كان قد دخل الاستانة جيش الدول المتحدة فوجب على
الدولة انزاله في المنازل اللائقة وتسهيل وسائل النقل له
واسعاف جرحاه ومداواة مرضاه فادت هذه الحال الى مشاكل
ادارية عظيمة وامور جزائية خطيرة اضطر المجلس الاعلى ان
ينظر فيها ويدققها ويحلها بالحكمة وحسن السياسة
والدراية

فكان لمدحت معظم الفضل في ذلك الحل لما ابداه من

الحزم وسداد الرأي وبذلك امكن تلافي مشاكل كادت تودي
الى مسائل خارجية حرجية لولا لطف الله وعنايته

مدحت في بلغاريا

كان مدحت في الخمسة والثلاثين من عمره لما اظهر
تلك الحنكة والدراية والكفاءة وبالرغم عن العقبات التي كانت
تقوم في سبيله والموانع التي تحول دون جهده والمساكيد التي
تتراوح حول خطته قد نجح نجاحا زاهرا وتقدم تقدما
باهرا وفاز فوزا عظيما فظهر فضله ظهور نار القرى ليلا على
علم ومهما كانت مهمته عظيمة فلم تكن فوق دائرة ذكائه وعلو
افكاره فقد جرى على اثر الاضطرابات التي حدثت في اقاليم
تساليا وبيريا والرومللى ان العدو [سرت الى جهه بلغاريا
فانتشرت الثورة في ربوعها وهاجر التتر اليها من شبه جزيرة
القريم فاخذوا يحشدون بازاء الحدود ومنها يثبون كلاسود
الجبايع ويهجمون هجوم الحيوانات الضارية

فقصد مدحت تلك الاماكن حيث افاح زعماء
العصابات في حمل الالهين على حمل السلاح فقاتلهم قتالا
شديدا وتركهم بجرح الحديد بديدا فعادوا مهزومين وتوالت
عليهم البلايا وفاز بالنصر رغما عن اعدائه والنصر بيد الله يوليه
من يشاء

ثم ظهر له ان مصدر الفوضى من جهة الصرب فاسرع
الى حدودها وحدود البلغار واقام الاستحكامات على مواقع عديدة
ووزع عليها انفارا من الجنود لحماية الحدود

وبعد ان اتى مدحت نظره على زعماء العصابات فاخذهم
تحت الاستنطاق وصار يسألهم بحكمة واصول حتى عرف
الجهول واعترفوا بانهم مدبرو ثورة هائلة فاحالهم لمحكمة
الجنايات للنظر في مهامهم وترتيب جزاهم

ثم اطلق سراح غيرهم بعد ان اخذ عليهم المواثيق ان
يحافظوا على الامن في الجهات التي يقطنونها وعدم مسئولين عن
كل عبث بالنظام فهكذا فاز مدحت فوزا تاما وشكر المولى

مدحت في اوربا

عاد مدحت من بلغاريا وطلب اجازة من الحكومة
 بقصد السفر ونالها و برح الاستانة قاصداً اعوام البلاد الاجنبية
 فزار اولاً باريس ثم لوندرة وبعدها فيينا ولم يكن
 قصده من هذه السياحة ترويج النظر وانشراح الصدر
 وتبديل الهواء بل كان قصده منها التجول كاداريه حازم
 وسياسي خبير فاطلع على كل شيء ولاحظه بامعان وراقبه
 وشابهه وقارنه ليدرك منافعه ومضاره فخاض كافة الامور ودرس
 حالة النقابات الاجنبية وكيفية حركتها وسيرها وادارتها واقتصادها
 ليجتهد في ادخال ما رآه منها من النافع والمفيد وما يخدم لحياة
 بلاده ورفاهيتها حتى انه كتب مذكرات بجميع ما بهر
 افكاره وكسب ثقته وجلب انظاره فآب الى دار السعادة
 يحمل الفوائد الجمّة ومعه القنون والعلوم ومحصول وافر من
 الاشياء والامور النافعة

فلا شك في انه اعاد الوقت الذي اضاعه في البلاد
الاجنبية بين تحقيق وتفتيش وتمرين وتدقيق على الوطن المحبوب
بالعز والاقبال وعلى الهيئة الاجتماعية بالخير والسعادة

فقد انارت المدينة الغربية افكاره وادركته ما هو ناقص
ليسده وما هو لازم ليعمله وما هو غير كاف ليحسنه ويكمله
وينظمه ومن اتبع سيره في مضمار جهاده وعرف قوته العقلية
بدرك بسهولة انه اذا اتسع له المجال ومكنته الظروف يشمر جهاده
ثمرا حسناً هذا والحمد لله قد اشرقت شمس هذا اليوم المطلوب
الذي فيه تم تعيين مدحت الى ولاية نيش ونواحيها انكوب
وبريسترند وذلك في سنة ١٨٦٠

مدحت في ولاية نيش

كانت ولاية نيش خالية من الخطوط الحديدية والنقابات
الزراعية والمواصلات التجارية وعرة المسالك صعبة الطرق
وقد احتكر فيها النزلاء الاجانب انواع التجارة احتكاراً عاد على

الوطنيين بالخسارة والشقاء فكانت الصنایع النفیسة في درجة
النزاع والمزاحمة التجارية قاضية على العموم

فاين المتمولون واين الاموال الطائلة لرفع هذه البلاد
واعادة مجدها وتخلصها من تيار الازمة المالية ما من
عرفها الا ونادى عليها السلام

مع هذا فما على مدحت بعزیز فادرك الداء واسرع باعطاء
الدواء الناجم فقال في نفسه لا بد من اصلاح داخلية البلاد
مبدائياً حتى تدور الحركة ودولاب الاعمال ومن تعديل
نظاماتها وارساخها في العقول لكي لا تطرح في زوايا الاهمال
وتذهب كصرخة في الهواء

فعليه تذكر الخط الهامیوني المتعاق بالاصلاحات الداخلية
الذي صاغته الحكومة لهذا الغرض وعزم على ان يخرج منه
حيز الكتابة الى حيز العمل فجدد درسه وفحصه وزاد
عليه ما رآه مفيداً ولازماً ثم عمد الى تنفيذه بهمة فائقة فجعل
الوطنيين متساوين في الحقوق واشرك جميع العناصر في مجالس
الادارة في الولايات وفرق الوظائف الادارية

كل ادارة لوحدها تقوم بوظيفتها وتنظم مجالس البلدية وخالص
التحصلات من نير الظلم والاغتياال واعد لدائرة الاجراء
والتحصيل قوانين صارمة وضرب على ايدي الذين مدوا ايديهم
الى الاموال الميرية وتعدوا على حقوق الرعية ما كان حملا لا
يطاق لدى الاهالي وظلماً لا يستحمل عند المزارعين الذين
يسقون اراضيهم من عرق جبينهم ثم ينظرون الى محصولاتهم
فيرونها بين ايدي المستبدين ظلماً بغير حق ولا مستحق ما
كان موديا بهم الى الخراب والدمار

بفضل مساعيه واجرااته المتتالية اوقف المستبدين وادبهم
وكان حمى المغدورين وحمية المظلومين حتى اصبحت البلاد على
ما يرام وكسبت العباد روحاً جديدة ودخلت في الحضارة
والعمران

فعندها انقل مدحت من الالم الى المهم ومن الالزم الى
اللازم فقوى الامل وحقق في انجاد المواعد وانجاح المقاصد
واستمال اليه العواطف فكال الفوز اعماله كما تشتهيه اماله مرتكنا
على نفسه لا على غيره قائلاً

وانما رجل الدنيا وواحدھا
من لا يعول في الدنيا على احد

ثم عطف نظرة اخرى الى معشر التجار وسن لهم قوانين
عادلة وعطف غيرها الى دائرة الجندرمة والضبطية ونظمها
ونظم جميع ما تحتاج اليه البلاد في هيئة لم تكن في الحسبان

فضرب صفحاً عما يعرف اعماله وغض طرفاً عما يعيق
اصلاحه من القوانين والنظامات التي كانت مخالفة لمبادئه
السامية واغراضه الشريفة وعرف ان كل ما ينظمه كان
ضرورياً للصالح العمومي والضرورة لها احكام فبذلك اصبحت
حكومتنا والامة ممنونين بخدمته خدمة تستحق الثناء العاطر
والشكر الوافر والمجد الفاخر والمدح الزاهر فقامت حكومة
الاستانة تفتخر بافعاله وتشكر اعماله وعزمت على ادخال
تنظيماته في سائر الولايات

كيف استقبله السلطان

فاستدعاه جلالة السلطان فعاد الى الاستانة مسرورا مجبورا
فتلقاه بالاحترام والاكرام واحتفل بوصوله واستقبله شاكرًا
له شكرًا جزيلًا وخاطبه بقوله انه معجب بالاصلاح الذي تم
بهمته ونشاطه وانه معتمد عليه في تحقيق امانيه وادخال الاصلاح
في سائر الولايات وكلفه بسن القوانين اللازمة بمساعدة فواد
باشا وعلي باشا

فقبل مدحت الارادة السلطانية بسرور وعزم على انجازها
مجبور لما فيه من مكافاة معنوية ومساغي ادبية حيث اقام له
الله هذه الفرصة الثمينة ليخوض بحر اماله ويفسح لعقله عنانه
ومجاله حتى يأتي باجرائات توازي علو همته وسمو افكاره

مدحت باشا وفوءاد باشا

وعلي باشا

فباشر مدحت ورققاؤه فوءاد باشا وعلي باشا بما كلفهم
 جلالة السلطان فدارت بينهم المناقشات واخذت تشتد
 المداولات وتجري كالسيل المجادلات فكان مدحت حينئذ
 روح المباحثات وابا المعارضات مرتكناً على التجارب لا على
 النظريات وما كان له من خبرة واعمال فكانت دوماً من
 طرفه الارجمات مع كون فوءاد باشا وعلي باشا من فطاحل
 الساسة العظام بين رجال الدولة فكان اسمي منهما مقاماً وارفع
 شأنهما واكثر تجرباً فطوراً يأمر عليهما واخرى يقاوم افكارهما
 وتارة يشد ازرها بنية سليمة حتى ادخلهما في مسلكه واضاعهما
 في بحر افكاره وغرقهما في امواج سياسته لانه كان بحراً
 زاخراً

وما عدا الفنون والشؤون التي تقام عن الدول الاجنبية
في اثناء سياحاته تمرن ايضا في امور دولته وداخليتها وادرك
حوايجها الضرورية واحوالها الطبيعية وعرف صادراتها
ووارداتها حتى انه اذا اقترح مشروعا كان مفيدا وشرع في
امر كان صالحا ومطابقا على عوائد واخلاق ولزوم وضرورة
اهل البلاد

هذا والحمد لله وبفضله قد تم قانون الولايات هذا
القانون الذي يخدم الدولة لغاية الان بل الى الابد ونظاماته
النافعة اذا اردنا نوفيها حقها مما لها من الفوائد التي لا تعد
ولا تحصى لم يسعنا المقام ولا يكفينا الكلام هذا هو القانون
الذي قمع جحافل الشر ونزع السطة الاستبدادية من ايدي
الظالمين ونظم دوائر العدلية ورتب اقسام الملكية وادخل
العناصر كافة في الانتخابات البلدية وفي المجالس الادارية وصاغ
القوانين التجارية وفرق المجالس الحقوقية من المجالس الجزائية
وانشأ المحاكم الشرعية في كافة الولايات

فلما انتهى ترتيب هذه النظمات بقي على ولاية الامور
الاجراء بموجبها والعمل بمقتضاها فاستقر رأي الحكومة
على ادخالها مباشرة في ولايات الدانوب وفي نيش وويدين

مدحت في ولاية نيش

عهد السلطان الى مدحت بقضاء هذه المهمة فقصد الاماكن
المذكورة لاجراء التنظيمات المطلوبة والاصلاحات المرغوبة
فما لبث فيها بضعة ايام حتى ادرك ان حالتها الحاضرة شبيهة
بما كانت عليه حالتها الغابرة

فكان الهياج سائداً والتمرد فاشيا والبلاد في غليان
والقوم في هيجان بسبب طيش الطائشين وجهل الجاهلين
وتخريب المحرضين على الثورة التي كانت على قاب قوسين او ادنى
فاول ما اهتم به مدحت دوائر الملكية والعداية في
مراكز الولايات فاصلحها ونظر في شؤنها ورتب امورها
واجرى اعمالها على محور الضبط والنظام ثم انقل الى المنصرفيات

والقائم مقاميات والمديريات حسب التنظيم الاداري الذي
 يجزى. الولاية الى ثلاثة اقسام وهي متصرفية وقائم مقامية ومديرية
 فعين فيها بقدر الامكان رجالا من ارباب اللياقة
 واصحاب الكفاءة نقول بقدر الامكان حيث انه في سنة
 ١٨٦٤ تفرق اوائك الذين جمعوا الخبرة والفضيلة في اطراف
 الدولة. هذا من جهة ومن جهة اخرى ضرب مدحت على ايدي
 المستبدين وسد سبيل المعارضين ولولا ذلك ولطف الله
 وعنايته لا فسدوا ما صالح وعكسوا ما نظم وهذا ما كان ظاهراً
 ظهور الكواكب في عالم الاجواء ثم انتقل من تنظيم الى
 غيره ومن اصلاح الى سواء حتى انه في خلال اربعة اعوام
 بدل احوال هذه الولايات تبديلاً يذكر ويشكر

ومما يهم ذكره هو انه اهتم ايضاً بتنظيم الشوارع فنظم
 فيها ثلاثة الاف كيلومتر واقام الفاً واربعماية جسر واسس
 ثلاث مدارس كبرى للصنائع والفنون الجميلة وانشأ المستشفيات
 فترقت البلاد وعلا قدرها وعظم شأنها وزاد ايرادها وبلغت
 تحصيلاتها الميريه شأواً عظيماً من التقدم وكانت الحكومة

تقدرها في السنين الغابرة بمبلغ مليون وخمسمائة الف ليرة
عثمانية فزادت حتى بلغت مليوناً وتسعمائة الف ليرة ويحق لنا
في هذا المقام ان نذكر شهادة الكاتب النمساوي الموسيو
(Kannitz) كانيتز فقد قال

« زرت ولايات الدانوب مرة وعدت اليها مرة اخرى
حين كانت تحت ادارة الوالي الخطير مدحت باشا فدهشت مما
رأيت فيها من تغييرات واصلاحات حولتها من اسوء حال
الى احسن الحالات ثم اثني ذلك الكاتب على همه موظفيها
ومدح اعمالهم

فبذلك مثل مدحت امام محبي الاصلاح المتورين
دوراً مدهشاً ومن جملة ما عمله ايضاً انه عين مفتشين
مقتدرين للمكاتب الابتدائية والاعدادية واستخدم مهندسين من
الاجانب لاصلاح الري واحيا الزراعة وعمد بعد ذلك الى
انشاء الثكنات العسكرية ومد الخطوط الحديدية والاسلاك
التلغرافية وتأسيس النقابات الزراعية والشركات العقارية
وادخل كافة الشوارع المهمة في دور التنظيم حتى اصبحت

البلاد عامرة زاهرة زاهية تعادل البلاد الاجنبية وفي ذلك
قال الكاتب كانتز ايضاً ما معناه

عرفت قدر مدحت من مشاهدتي لنتيجة اجرااته
لا مما سمعت عنه فقط فلا شك في انه اداري حازم وحاكم
عادل ولو حكم في ولايات الدانوب مدة طويلة لاصبحت قدوة
يقتدي بها العالم بامره وانموذجاً تتخذه الدولة لاصلاح سائر
ولاياتها واعظم شاهد على ما تقدم مدينة روستوك التي غدت
بفضل مدحت عروسة البلاد وباتت تعد في مصاف المدن
الراقية

هذا ما قاله ذلك الكاتب النمساوي الشهير

ومن اعمال مدحت انه انشأ رصيفاً جميلاً على شاطئ
الدانوب وبني عليه بنايات شاهقة ومتنزهات عمومية رائقة
حتى اصبحت كل الاماكن صحية جالبة للرفاهية هذا وبالوقت
نفسه كان مشجعاً لافراد الامة في تحقيق امالم ومساعداً
لمبتكراتهم العلمية والفنية والصناعية وفي مدة وجيزة اخرجهم

من دائرة الجهل ودرهم في طريق الكمال فشكروه وحمدوا
المولى

مدحت واصدقاؤه

ابتعد مدحت عن التقاليد العقيمة والنظامات القديمة التي
لا تنطبق على احوال الزمان والمكان بالعكس عما كان يعمل
سائر الولاة الذين لم يقوموا بمشروع مفيد وكانوا اذا ارادوا
عملا طلبوا اذنًا رسميًا ثم باتوا ينتظرونه بفروع صبراياما عديدة
وسنين مديدة بلا فائدة سوى رفض المشروع والقشل وخيبة
الامل

وكان مدحت خاضعاً في الحقيقة لقوانين الدولة الا انه
كان يراعي فيها الظروف وينظر الى الاحوال وعند الاقتضاء
يعدل فيها كيفما شاء واياها اراد ليأتي بالغرض المطلوب
طبقاً للمبادئ الدستورية ومن حين الى آخر يرفع بذلك تقارير
مهمة الى المراجع العليا في الاستانة ويسندها بادلة منطقية

كافية لتصديقها حتى يعمل بموجبها لدى الاقتضاء في الولايات

فلامه فريق من اصدقائه على هذه الخطة خوفاً عليه من
الدسائس ونصحوه بان يعدل عنها ولكنه لم يكن يقتنع
باقوالهم ويعمل بملاحظاتهم ولم يكن شيء يحول دون ارادته
حيث كانت قواه العقلية فوق دائرة الارهاب والتخويف
اذ لا فائدة شخصية بما يعزم عليه بل يقصد فيه الفائدة
العمومية الاجتماعية وقد قال لاحد اصدقائه بسلامة نية
وحسن طوية

« وما الذي اجره على نفسي من وراء هذه السياسة
العادلة الحرة فان كان النفي فاني لا ارهبه وخسماية قرش
في الشهر من قبل الحكومة تكفي لوازمي الضرورية في بلاد
الغربة ديار المنفى واني غني عنها ايضا بفضل براعي هذا فهو
كفوه لان يكسبني ما محتاج اليه معيشتي »

فانظروا ماتحت هذا القول من الشجاعة

مدحت واميل دي جيراردان

لقد فتح نجاح مدحت في ولايات الدانوب باب الرد
على الذين كانوا ييغضون الدولة العلية ولا يعتقدون بميلها
واستعدادها للاصلاح وكانوا يطعنون فيها سرًا وعلنًا فاثبت
لهم مدحت قولاً وفعلاً بعدم عن الصواب واظهر سياستهم
الخرفاء وقال لهم ما يأتي

من وهبه الله ذكاء فطرياً مع الشجاعة وشدة الحزم اذا
حفر خطأ وزرع فيه بذرة فلا شك في انها تثمر ثمراً حسناً
وهل للامم ميل واستعداد طبيعي وحزم وذكاء
اكثر مما لنا ؟

حاشا وكلا وكفى بدولة فرنسا مثالا فكم من مصاعب
واخطار مرت على ابوابها حين دخلت في الحضارة والعمران
وهكذا في سائر الدول فكم من معارضة ومقاومة قامت في سبيل
اقل اصلاح مهما كان ضرورياً ومفيداً للهيئة الاجتماعية فلم يتم

ذلك الاصلاح الا اذا صادفته قوة كافية لتضييده واجرائه
وفي هذا الصدد قال الكاتب اميل دي جيراردان الشهير في مدح
العناصر العثمانية ما معناه

« ان لم يكن للدولة العثمانية حياة الا بالاستبداد فلا حياة
لها واني اول من ينادي السلام عليها الا اني لا امل ورأيي
في غاية الاصاله والصواب انه يساعى رجالها الغيورين ستصبح
هذه الدولة بهيمنة عن الساسة الذين لا يعرفون سوى الحسد
والغيرة والكبرياء والتبجيل والتكريم والتعظيم اوائك الذين
هم في الحقيقة اعداؤها يضرها فريق منهم من قبل السياسة
وفريق من قبل الاغراض الذاتية وسيأتي يوم تكون بعيدة
عنهم وتتخلص من محاربة تلك الدول التي ما زالت من
حين الى آخر تتداخل في شؤن الدولة الداخلية واخصها
النمسا وفرنسا وانكلترا وروسيا

في ذلك اليوم ستنهض هذه الدولة التي يمثلونها بشبح
لا حياة له نهضتها الاخيرة لانتماء عملها بخطوة ثابتة اكيدة
فتفعل ما لم تستطعه الاوائل والاواخر وتمشي بسرعة عظيمة

الى الامام في مضمار التقدم والفلاح وتبهر عقول الدول باسرها
من قاصيها لدانيها»

هذا ما قاله الكاتب اميل دي جيراردان على اثر
شهرة اعمال مدحت باشا التي رن صداها في المشرق
والمغرب

فضرب ايضاً فوءاد باشا على اوتار اميل دي جيراردان
بكل افتخار في مذكرته التي قدمها الى سفير انكلترا في ٦ مارس
سنة ١٨٦٧ قائلا :

قامت دولتنا العلية اخيراً باعمال تذكر بافتخار باهر
وتشكر بثناء عاطر وهي التي انبا عنها الكاتب اميل دي جيراردان
فاظهرت دولتنا العلية الان انها اذا تمتعت بحريتها التامة
وتخلصت من شر المكاييد الداخلية والخارجية واخذت
ترتب امورها وتدبر شؤءونها بحكمتها تسير في الترقى والعمران
يسرعة لم تكن في الحسبان وتدهش العالم بامرءه

مدحت والدستور العثماني

لما كان مدحت في ابان تنظيماته واجرااته كانت تجري
حينئذ في الاستانة حوادث خطيرة الشأن تتعلق بالشؤون
الاصلاحية والامور العمرانية والنهضة الادبية التي كان يترامى
منها لدوي الالباب ان الدستور على الابواب

مع هذا كان يجري في الاستانة ما جرى في سائر عواصم
الدول وما حدث في بلاد كل سلطنة حين انتقالها من هيئة
سياسية ادارية الى هيئة سياسية ادارية اخرى من تصادم
سلطة بسلطة وتضارب نفوذ الهيئة الاصلاحية ونفور
المحافظين على القديم وقيام هولاء عقبة كوهودا في سبيل
الاصلاح حتى تضطر السلطة الاصلاحية ان تضرب ضربة
قاضية في وسط الدسائس السياسية وترفع علم العدل ولواء
المساواة والاخاء

تقرب من السلطان جماعة من رجال الدولة ونصبوا

المكائد انتقاماً من المخلصين للدولة ومحبي العدالة وذوي الكفاءة والاقدام التام مثل فوءاد باشا الذي كان وقتئذٍ وزيراً للخارجية وركناً عظيماً للدولة تستعين به لدى الحاجة في المسائل الخطيرة والامور الخارجية .

فاقنعوا السلطان ان فوءاد باشا احتكر امتيازات كثيرة لنفسه بقصد الاعتداء على السلطة الشاهانية فاشتد غضب السلطان عبد العزيز من جهة واخذت صحف المعارضين من جهة اخرى تنتقد اعمال فوءاد باشا وتنسب جميع ما كان فاسداً لعدم كفاءته وتنشر فصولاً تحمل فيها عليه اشد حملة مدعية انه غير كفوء لادارة شئون الدولة الخارجية وزاد الطين بلة تغير السياسة الانكليزية نحو الدولة العلية وذلك على اثر وفاة اللورد بالميرستون (Palmerston)

لما كانت دولة انكلترا في عهد وزارة اللورد الموما اليه مدت الى الدولة يد الصداقة والولاء وساعدتها مرة بنفوذها واخرى بآرائها فبعد وفاة اللورد المذكور دخلت انكلترا في دور سياسي جديد . هذا ما اضاع آمال فوءاد باشا وخيب

ظنونه فسقط من الوزارة في ٢ يوليو سنة ١٨٦٦
 كان ذلك درساً استفاد منه مدحت باشا وعلمته التجارب
 والحوادث انه لا بد من الاتحاد والاتفاق ولا تقوم للدولة قائمة
 الا بذلك وبتأسيس مجالس شورى وسن نظمات عادلة تضمن
 لها مركزاً سياسياً سامياً يليق بكرامتها في مصاف الدول
 الاجنبية الراقية لا كممثل المجالس التي كانت لا عمل لها سوى ان
 ترضى هذه او تلك من الوزارات الاجنبية فعليه يجب على
 الحكومة ان تسعى بتأليف مجالس مطابقة لاستعداد الاهالي
 وميلهم لتدوم وتكسب ثقة الامة وتؤدي بها الى الامل المرغوب
 وهو ان تحكم نفسها بنفسها

فقال مدحت في هذا الصدد ما يأتي

« ما كان يهمنا في الماضي سوى ان نرضى الاجانب في
 بلادنا لتظل تركيا في قارة اوروبا ولكن ما نحن فيه اليوم وما
 نزومنا مغاير لهذا المبدأ الساقط ومخالف لما تمنيناه بالامس فتقدمنا
 الحالي هو ثمرة جهادنا الغاير وما ساقته اليما ارادتنا الطبيعية
 وحميتنا الوطنية وغيرتنا القوية وانارته لنا افكارنا بفضل سعيها

واجتهادنا في سبيل خدمة بلادنا وترقيتها

هذا ما قاله مدحت برأي اصيل وحق مبين ومن يستند
الى اقوال وهمية ويظن ان الاتراك وسائر العناصر العثمانية
غير اهل للحكم النيابي فهو في ظلام حالك وجهل فاضح واول
من ينقض ظنونه ويبدد اوهامه اقوال اميل دي جيراردان
الذي خبر الاتراك ومدح صفاتهم بالنظر الى سمو افكارهم وابعاء
نفوسهم وشهامتهم وكان يستشهد ادياء العصر الذين يجثوا
ودققوا ثم ذكروا بكل اعجاب صفاتهم النبيلة ومزاياهم الجليلة
وهاك صحيفة جميلة من اقوال لامارتين (Lamartine) اعرب
فيها عن افكاره وارائه في الامة العثمانية وقال في الاتراك
ان العنصر الذي يستحق الثناء والشكر بين الشرقيين هو
العنصر التركي فاخلاقه راقية وافعاله سامية وفضائله الدينية
والمدنية عالية مما يوجب الاعجاب والاطراء

هذا ولا سيما ان عظمتهم منقوشة على جبينهم وشهامتهم
مرسومة على وجوههم ولو كانت لهم قوانين عادلة وحكومة
منظمة راقية لاصبحوا في اسمى درجة من المدنية حيث انهم

ارباب علم وحزم واهل شجاعة وعزم وذوو غيرة وطنية عظيمة
وحمة قومية شديدة فعلى رأيي ان قوماً هذه مزاياهم وسجاياهم
وعنصراً متحلياً بهذه الصفات هو عنصر من العناصر التي تريد
الانسانية فخراً وشرفاً

هذا ما قاله لامارتين في مدح الاتراك

مدحت يطالب بمجالس عادلة

كان الرأي العام ان السلطان حاكم مطلق وسلطته غير
محدودة بأمر بما يشاء ويفعل ما يشاء الا ان هذا ما كان الا
نظرياً حيث في بادىء الامر عادل مجلس العلماء سلطته وجاء
بعد ذلك الخط الهمايوني وقام على اثره المجلس الاعلى وبعده
مجلس شورى الدولة ومجموع هذه المجالس ما يقال له الباب العالي
وقد قام رجال الباب العالي المتنورون المقندرون باعمال
انارت السلطنة العثمانية واراحت السلطان من عناء السياسة
الداخلية والخارجية فكانوا له ركناً متيناً واخذوا على عاتقهم

جملة امور كادت تقلقه ليلاً ونهاراً لذلك غض الطرف عما
يجرونه مما هو مغاير لمبدأ سلطته الشخصية الا انه غضب عليهم
احياناً واخذته الحمية على سلطته غالباً وخاف على مركزه
مراراً وذلك في الوقت الذي فيه اشتغل محبو الاستبداد
واوقدوا نار المكائد بقصد ان يصبح نفوذ رجال الاصلاح تحت
اقدام اولئك الذين اضاعوا كل قوة فعالة نافعة واغرقوا كل
روح صالحة في الوعيد والتهديد حتى ادخلوا الدولة في ازمة
ادارية سقطت فيها المباديء الاصلاحية ورجعت الدولة في
المدنية الى الوراء والعياذ بالله

هذاما اقلنى افكار مدحت كثيراً واحرمه لذة الوسن
فاخذ يفكر في هذه الحالة المشوهة وفي الذين يشتغلون سرّاً
وجهرّاً لابقاء القديم على قدمه بمحاربة افكار الرجال الغيورين
المصلحين فادرك في الحال ان دواء هذا الداء العضال هو ان
يعين موظفي الحكومة حدود سلطتهم وكيفية الاعمال المطلوبة
منهم حتى تتمكن الحكومة من القيام بوظيفتها والاشتغال في
دائرة اعمالها وتنظر يهدو. وامعان في الشؤون المهمة عند ظهورها

في العالم السياسي هذا ولم يكن تحقيق هذه الآمال ممكناً
الا اذا تألف مجلس نيابي في الدولة ولكن ما كاد مدحت ينطق
بهذه الجملة والا وقامت ضده مكائد سرية ومظاهرات
علنية

اما مدحت واصدقاؤه فقد قابلوا ذلك برباطة جأش
وثبات عزم وهناك كانت المشكلة السياسية المهمة واعتراضات
المتقهرين القوية التي نهض فيها حزب تركيا القديمة قائلاً
ان قوانين السلطان سليمان القانوني لا يعدلها معدل ولا ينقحها
منقح ولا يصلحها مصلح فيجب ان تظل على ما هي عليه الى ما
شاء الله . ورغماً عن كون الحزب القديم كان يرى جعل
السلاطين في اعلى المراتب من اسمى الواجبات فكان يرى
ايضاً انه يجب ان لا يكونوا بعيدين عن المراقبة في ادارتهم
وتصرفاتهم . وكان قانون السلطان سليمان القانوني يسوغ للعلماء
والوزراء البحث والانتقاد في ما يختص بالادارة السنية وعلى
الامة ان تكتفي بملاحظاتهم
هذا ما بني عليه القيل والقال فكانت وقتئذ مداخل

العلماء والوزراء في زمان السلطان سليمان القانوني شبيهة بمداخلة
نواب الامة في البلاد الاجنبية ولكن الاجرار المتتورين من
تركيما الفتاة الذين جاهدوا في سبيل الرقي والحضارة وساعدوا
مدحت في اعماله النافعة وساروا في ظل افكاره الراقية سعوا
كثيراً في اقناع الآخرين بان تداخل العلماء والوزراء لا يفي
بالمرغوب ولا يأتي بالمطلوب وانه لا بد من انشاء مجلس
نيابي اسوة بسائر الدول الدستورية العادلة المتمدنة وان المدنية
مقلدة كانت او غير مقلدة لها من الفوائد الجمة ما لا يعد ولا
يحصى ما دامت على اساس العدل والمساواة

وفي سنة ١٨٦٧ نشر القائد الحر والبطل المقدم خير
الدين بك مقاله تحت عنوان الاصلاحات الضرورية
في الدولة العلية العثمانية وهاك نصها

ما بدأت الدول الاجنبية ترتفع الى اوج العلاء والكمال
الحقيقي بفضل مجالسها النيابية حتى تدرجت الى اسمى درجة
في المدنية وكانت هيئتها الاجتماعية عند نهضتها اقل علماً
وعرفاناً وتقدماً مادياً وادبياً مما نحن عليه الان ولا مشاحة

في اننا في الحالة الراهنة اقل علما وعرفانا من سائر الامم الا ان
كل حر منصف مدقق وباحث محقق وخبير بالوقائع التاريخية
يقر ويعترف ان الامة العثمانية بفضل علو افكارها
وذكائها وما عندها من اثار مجدها القديم وتقدمها الغابر تستطيع
ان تنهض وتمشي الى الامام بسرعة عظيمة متى انشأ فيها مجالس
نيابي يدير شؤونها السياسية وامورها الادارية والاقتصادية وفي
ذلك اليوم يكون الانقلاب عجيبا يدهش كافة الامم
التمدنة صاحبة الفضائل والحاسن التي ما هي الا نتيجة
اعمال مجالسها النيابية الحرة

ومن واجبات الحاكم المكلف بتأسيس المجالس المار
ذكرها وترتيب قوانينها مراعاة الظروف والبحث في درجة
علوم ومعارف ومدنية وحضارة شعبه ليعين له حدود حريته
السياسية التي تليق بمقامه وان ينظر فيما اذا كان موافقا
تعميمها في كافة انحاء السلطنة على جميع الرعايا بدون
استثناء وان يسهل الاهالي سبيل القيام بواجباتهم نحو الحكومة
والحكومة القيام بواجباتها المقدسة نحو الامة وذلك بنشر

العلوم وتعميم المعارف وحفظ الامن العام
 هذا ما صرح به خير الدين بك ومن يتأمل في هذه
 العبارات يجد فيها خلاصة قواعد الحياة الشريفة والمدنية
 الحقيقية

✓ مدحت ومجلس شورى الدولة

ما مضت مدة من الزمان حتى اتاح الله للعثمانيين الاحرار
 الفرصة المنتظرة والقاعدة التمهيدية للمجالس النيابية وذلك
 بتأليف مجلس شورى الدولة في سنة ١٨٦٦

استدعى السلطان مدحت باشا الى الاستانة العلية وكلفه
 بهذه المهمة الشريفة عاهداً اليه ترتيب مجلس شورى الدولة
 وتنظيمه فاخذ مدحت ينظمه على نسق مجلس الشورى في
 فرنسا وجعله على ثلاثة اقسام الاداري والحقوقى والجزائي
 كان يرأس مجلس شورى الدولة وزير من الوزراء
 ويتلوه سكرتير وثلاثة عشر عضواً ما عدا ستة عشر

مستشاراً من ضمنهم ثلاثة نواب عن العناصر الغير الاسلاميه
 ترأس مدحت مجلس شورى الدولة بشجاعة واقدام تام
 فنال الثقة العامه وفي مدة قليلة اصبح لهذا المجلس نفوذ
 يزيد على نفوذ المعارضين فانشأ المجالس الحقوقيه والجزائيه
 والتجاريه وسن قوانين للمعارف وغيرها للاخراج والغابات
 ونقى دوائر الاجراء والتخصيلات من التلاعب واسس بنوكه
 زراعيه في مراكز الولايات وبذلك قطع دابر المستبدين وفتح
 سلطة المتمولين القاضيه على الفلاح

وقد دارت المناقشات في مجلس شورى الدولة يهدو
 مما يسر خاطر ويدهش الناظر رغماً عن اجتماع ابناء العناصر
 المختلفه لاول مره فكانت القلوب متحدت والراحه سائده
 وجرت المداولات الحاده في اسمى درجه من الحريه
 والسكينه

مدحت في ثورة بلغاريا

لقد افلح ذوو المآرب الذاتية في اهاجة البلغاريين
فبدأت الحرب تضطرم والنار تشتعل وانتشرت الثورة في ربوع
بلغاريا انتشاراً شديداً

فقصد مدحت تلك الاماكن وضرب الفاضلين ضربة
قوية وتركهم بحمد السيوف اشلاء قرى الوحوش وقبض على
زعمائهم واحال كثيرين منهم على محكمة الجنايات ونفى منهم
عدداً كبيراً وأدب الاخرين حتى اخمد الثورة واطفاها في
زمن قصير ورح بلغاريا راجعاً الى دار السعادة ليقبض على
زمام رئاسة شورى الدولة

استقالة مدحت من شوري الدولة

بش مدحت في مجلس شوري الدولة جوهر الاصلاح
 وروح النجاح وحث الامة على الفلاح وهي حال كادت
 توهدى بالمجلس الى تحويله لهيئة نيابية فاخذ يهيئه ويكسبه
 الاستعدادات اللازمة لتبديله من هيئة الى هيئة اكل واوفى
 بالغرض الا وهي الهيئة النيابية التامة . زرع مدحت هذه البذرة
 ولكنها كانت معرضة لا كبر الافات واعظم العقبات قبل ان
 تنمو وتثمر

نال شوري الدولة في بادىء الامر اهمية لا تنكر وثقة
 لا توصف هذا ما جلب على مدحت حسد الحساد وغيرة
 الاعداء ونميمة المعارضين حتى استاء استياء عظيما وعزم على
 الاستقالة مفضلا ان يكون واليا لبغداد

فيدرك القارىء من تلقاء نفسه حالة شوري الدولة بعد
 ذهاب مدحت الى بغداد فقد دخل في حياة جديدة هي حياة

المطالة والمطاوله فما عاد يقوم له قائمة الا اذا ردت له الظروف
واسترجعت له الايام رئاسة مدحت بما فيها من الثبات
والاقتدار

مدحت في ولاية بغداد

اظهر مدحت في ولاية بغداد ما اظهره في سواها من
الغيرة الوطنية والجهاد العظيم في سبيل خدمة الوطن وتدرجها
في مدارج النجاح والارتقاء . فشد فيها ازر الزارع وانقذه من
نير الظلم والعدوان

ثم اسس في مركز الولاية مدرسة صناعية وانشأ سفنا
تجارية تسير في نهري دجلة والفرات وفتح الطرق لسير العربات
بين قزامينه وبغداد تسهيلا للمواصلات حتى اصبحت شبه
جزيرة العرب كسائر البلاد في المدينة والحضارة بعد ما كانت
خالية خاوية عارية عن كل اصلاح

كان رؤساء العشائر وزعماء القبائل يظنون انفسهم في

حرية تامة واستقلال اداري لا تعارضه سلطة ولا تقاومه
 حكومة فساق مديحت عليهم قوة كافية ورددتهم الى الصراط
 المستقيم ونظم ادارة البلاد وجعلهم يخضعون للدولة في كل آن
 وزمان والاولى بالذكر عشيرة المتفق فردها الى الطاعة وهي
 اعظم عشيرة فاخذها مرة بالسيف واخرى بحسن السياسة على
 حد قول الشاعر

القائلين عدوهم في حصنه

بالرأي والتدبير قبل قتاله

وفي سنة ١٨٧٥ ذهب زعيم تلك القبيلة الى الاسنانة
 فقابله السلطان بحفاوة واكرام وبعد ما ادى الواجبات انعم عليه
 السلطان برتبة الباشاوية

حارب مدحت في ولاية بغلياد وضواحيها مرة محاربة
 فعلية واخرى معنوية ضرب فيها نفوذ الارتجاعيين الذين كانوا
 يضربون على اوتار سلطتهم متمسكين بحبال العقائد القديمة
 ترويحاً لسياستهم وهذه الحكاية تنبي عما كان عليه مدحت من
 الفطنة والحزم والدراية

في سنة ١٨٧١ حالت اهالي بغداد دون تنفيذ نظامات
الدولة وفتحت ابواب القول والرد امام رعايا الامة وكان من
زعماء هذه الحركة اعضاء مجلس الادارة فهاجت الخواطر في
البلاد واقفلت راحة العباد ولما كان مدحت جالسا على مائدة
الطعام اتاه من اخبره بتلك الحالة ونبيه الى نشوب الثورة فنهض
وامر بسوق الجنود الى الاماكن الملتهبة نارا ثم استدعى اعضاء
المجلس فلبوا دعوته مسرعين واتوه مطيعين بين مشاة
وراكبين على خيولهم ووراءهم الخدم والحشم فامرهم بالجلوس في
ساحة دار الحكومة التي كانت محاطة بشكل دائرة من العساكر
الشاهانية وامراء العسكرية وكان مدحت ينظر اليهم بامعان
حتى غصت الساحة بالمدعويين فالتقى عليهم الخطاب التالي
« اني لواق بان هذه الثورة مدبرة منكم وما هي الاثرة
طيشكم فامركم باخمادها في مدة ساعتين والا ثقوا باني احرق
المدينة وما فيها من كبيرها لصغيرها وصبيها وكهلها وغنيها وفقيرها
لا مبيتكم اجمعين واقصد الاستانة حيث اموت شققا اورميا
بالرصا ص فاعلموا بذلك والسلام »

وعند ذلك امر مدحت بهدم جسر دجلة الذي يقسم
بغداد الى قسمين وكانت السفن راسية فيه ومستعدة لتقله
مع عائلته

فتأكد حينئذ زعماء الثورة حقيقة الامر من هذا التهديد
ومضاهه وما يحرون على انفسهم من الخراب والدمار فاسرعوا
واطفأوا الثورة في مدة وجيزة من الزمان

رجوع مدحت الى الاستانة

هذا ما حدث في ولاية بغداد وفي اثناء ذلك كانت
حكومة الاستانة في حالة الارتباك على اثر وفاة الوزير الحر
علي باشا الشهير وتعيين الوزير محمود نديم باشا خلفاً له في
الصدارة . فتلقى مدحت هذه الحادثة بيزيد الاسف اذ كان
محمود نديم باشا من الذين يميلون الى سياسة اللين
فادرك مدحت ما وراء ذلك من تأخير الاستعدادات
اللازمة لترقية البلاد فكان هذا العهد امامه كسحابة مظلمة

حتى انه بحث في هذا المعنى اقوالا كثيرة منها الى نديم باشا
نفسه تنبيهاً الى ما يخشاه من عواقب هذه السياسة ومع
هذا لم يعمل بملاحظاته حتى استقال من ولايه بغداد وآب
منها قاصداً الاستانة للنظر في الشؤون الخطيرة والامور
المهمة فاستقبله محمود نديم باشا بالاحتراف والاکرام بدون ان
يضمربه العداوة والانتقام مع انه كان حاسباً له الف حساب
وخائفاً من مراقبة اداري حكيم وحر كبير فصار يرعى النجم
ويسامر الكواكب مفكراً في التخلص من مراقبته فظل الحال
على هذا المنوال حتى تعين مدحت من قبل الحكومة والياً لولايه
ادرنه

مدحت في الصدارة

قبل مدحت بكل ارتياح ان يكون والياً على ادرنه ومثل
قبل مبارحته الاستانة لدى الحضرة السلطانية فسأله السلطان
عن اسباب تأخر البلاد وما هي الخطة المؤدية الى سلامة

الوطن وسعادة الامة

فاجاب مدحت بهدوء وبلاغة على جميع اسئلتهم مبيناً ما
يلزم اتخاذ من هذا القبيل لاسعاد الامة وترقية الدولة فكان
لكلامه وقع عظيم في نفس السلطان وفي اليلة نفسها استرجع
الارادة السنية التي بمقتضاها عين مدحت والياً لولاية ادرته
واصدر ارادة جديدة بتعيينه صدراً اعظم . فتقلد مدحت
منصب الصدارة ولكن لم ينعم له بال بالنظر الى مبادئه الحرة
التي جاهر بها كل المجاهرة كالمعتاد وكانت اعداؤه واقفة
له بالمرصاد فقاموا يبشون الفساد واطهروا للسلطان ان المراد
من هذه المبادي الاعتداء على الاسرة المملوكية والسلطة
الشاهانية .

فعليه مكث مدحت في الصدارة ثلاثة اشهر ثم استقال
منها فعينته الحكومة بعدئذ ناظراً للعديلية التي اقام فيها مدة قليلة
وتركها بسبب عدم تصديق الباب العالي على بعض مشروعاته
واقتراحاته وغادر الاستانة قاصدا ولاية سلانيك حيث عين
والياً عليها ف قضى فيها بضعة شهور ثم غادرها عائداً الى الاستانة

حيث ظلّ لمدة معتزلاً السياسة ومستريحاً من عنائها
ومشاكها.

رجوع مدحت الى نظارة العدلية

في سنة ١٨٧٥ اقترح مدحت على الحكومة ان يكون
مندوباً عثمانياً في المرسك ليردها الى الطاعة مثل بلغاريا
وسواها فرفض الباب العالي اقتراحه مدفوعاً من نفوذ الدين لهم
غاية في انتشار الفوضى وابقاء الحالة على ما كانت عليه.

فاسند السلطان اليه نظارة العدلية الا انه لسوء الحظ اخذ
اعداء الاصلاح يعاكسونه ويعرقلون مساعيه حتى انه لم يطق
صبراً فرفع مذكرة الى السلطان تكشف عن اعمالهم السתר
وتبين ما وراءها من الاضرار وانهي كلامه بالاستعفاء من
منصبه.

فأعرب له احد اصدقائه عن تعجبه من هذه الجسارة في
تقديم استقالته وما كشف للسلطان بمثل تلك الحرية والشجاعة

فبسط مدحت يده نحو قرن الذهب قائلاً :
 لقد خيل لي ايها الصديق ان باخرة تدخل ذلك القرن
 بسرعة لكي تقاني الى المنفى وتجسم لي هذا الخيال حتى اثر في
 اشد تأثير واعلم ان عوامل التأثير هي التي دفعتني الى تقديم
 استقالي والمذكرة التي استوجبت اعجابك . وقد قبل السلطان
 استعفاء مدحت واستمر الحال كذلك بضع سنين الى ان
 ابتداء عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني

مدحت والسلطان عبد الحميد خان

كان محمد رشدي باشا صدرًا اعظم في اوائل عهد
 السلطان عبد الحميد خان الثاني وكان حاوياً للصفات النبيلة
 والمدارك العاليه ومنتصراً لرجال تركيا الفتاة ولكنه لم يكن
 شديد المضاء في العمل وهذا ما اخر اعمال الحكومه حتي
 اضطربت الحالة الداخلية والخارجية
 وبناء عليه اجتمع سقراً الدول في الاستانة للمداولة في

الشؤون العثمانية الحاضرة وما يلزم اجراؤه من الاصلاحات في
داخلية البلاد العثمانية .

فادرك السلطان عبد الحميد الخطر واسرع في تلافيه فاستلم
اختتام الصدارة من يدي محمد رشدي باشا وسلمها الى مدحت
باشا في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٧٦ وبعد اربعة ايام نالت الامة
العثمانية مجلساً نيابياً واليك صورة الخط الهايوني الذي صدر في
تعيين مدحت باشا صدرًا اعظم .

وزيرى سفير المعالي مدحت باشا

بنأ على استقالة وزيرى محمد رشدي باشا من الصداره
العظمى لاسباب صحية ولتقدمه في السن فاستقر رأينا ان
ننظر في حسن اداره اشغال دولتنا العلية التي لا باعث
للاعراب عن اهميتها الان وان نحل بصفة مرضية كافة العقد
والمسائل الموقوفة لتبرز امام العالم باسمه حقوق دولتنا وان
نحسن حالتها المالية فاستناد منصب الصداره العظمى الى ايدي
مقتدرة من اسمى الواجبات فنظراً لميلكم الشديد واستعدادكم

العظيم لما تقدم ذكره لقد عهدت اليكم بهذه المهمة واني لآمل
ان تصرفوا ما في وسعكم في ادارة الاعمال بصورة مقبولة
وحسنة فعسى المولى تعالى ان يكال مقاصدكم بالفوز والنجاح
وهو سميع الدعاء مجيبه

مدحت والدستور على الابواب

سبقنا وذكرونا عن اجتماع سفراء الدول في الاستانة وان
الغرض من هذا المؤتمر ان ينظروا فيما يتعلق بشؤون الدولة
العلية واصلاح داخليتها ولكن ابى الله ان يكون لم نصيب في
هذا الاجتماع وفي الساعة التي هم فيها وكلاء الدول لعقد المؤتمر
حيث القلاع والسفن الحربية الدستور العثماني تحية دستورية
باطلاق المدافع فكان حينئذ صفوت باشا ناظرًا للخارجية
فقصد مقر السفراء وافادهم مبشرًا بخطاب مختصر بليغ
قائلًا

« اطلقت المدافع مبشرة بالعيد السعيد عيد الدستور

وهذا الدستور بفضل رجالنا الأحرار ومساعدتهم هو
فاتحة عصر جديد وانقلاب عظيم في كافة شؤون الدولة
العثمانية «

وبعد هنيئة علم سفراء الدول بالخط الهامبوني وبخطبة
مدحت باشا ومنها قوله

« لقد نلنا بنعمة الدستور حقوقاً جديدة وهو كسراج
منير سيرشدنا ويهدينا الى الكمال الحقيقي هذا هو السراج
الذي بنوره نقلت دول أوربا من ظلمة الجهل الى عالم
النور تلك الدول التي بفضل مجالسها النيابية أصبحت الآن
مثالاً جميلاً وقدوة حسنة تستفيد منها الأمم ويقتدي بها
العالم ويعرف كل فرد من أفراد الهيئة الاجتماعية ما له وما عليه
من الحقوق والواجبات «

هذا من ضمن ما فاه به مدحت باشا في إله العيد
العظيم عيد الدستور العثماني وامام تلك المظاهرات العنيفة
الحررة التي تدل على ارادة الحكومة ومقاصدها الشريفة وجهادها.

في سبيل الحرية والمساواة والاخاء فلم يبق لسفراء الدول
مجال للقبيل والقتال ولم يسعهم الا الرجوع عن خطتهم وشكر الحكومة
العثمانية على ما انعمت به على رعاياها بدون تفريق فدخل
حينئذ المؤتمر في حكم العدم وانسد سبيل التداخل في وجه
السفراء

مدحت والقانون الاساسي

جاهد مدحت كل حياته حتى رأى تلك الساعة التي اعلن
فيها الدستور العثماني فاول ما خطر بباله ان يهتم بسن قوانين
تصونه وتحفظه وتوطده وتقوي دعائمه فاقترح على الحكومة
تشكيل لجنة خصوصية للباشرة بالاعمال اللازمة فصدرت
الارادة السنية بذلك وتشكل مجلس شورى القوانين من ثمانية
وعشرين عضواً من نخبة الاعيان والاسراء منهم ستة عشر من
موظفي الملكية واثنان من مأموري العسكرية وعشرة من
موظفي العدلية واليك اسماءهم

جواد باشا ناظر العداية . سفيح باشا ونامق باشا من
 الوزراء السابقين . سرور باشا ناظر الاشغال العمومية . كيماي
 باشا ناظر العوائد الميرية . فوزي بك محافظ الاستانة العلمية
 ويليهم ثلاثة مستشارين من العناصر المختلفة ويأتي بعدهم
 محمود باشا رئيس اركان الحرب . وعزيز باشا العضو في اللجنة
 العسكرية . وسيف الدين بك رئيس محكمة الاستئناف وغيرهم
 من الذين كانوا ملين بامور الدولة واحوالها ومن عرفهم حق
 المعرفة يقول انهم اكفاء حاصلون على الصفات النبيلة والمدارك
 العالية اللازمة لقضاء تلك المهمة السامية التي عهدت اليهم بها
 الحكومة العثمانية

مدحت وتنفيذ القانون الاساسي

انتهى عمل مجلس شوري القوانين وتم وضع القانون الاساسي
 بعد تدقيقه وتحقيقه طويلاً فاصبح قانوناً وافياً لدستور كامل
 ولكن ظهر حوله النقد وكثر القيل والقال وتضاربت الآراء

فما اذا كان يعمل به او يطرح في زوايا الاهمال وهل يبقى
 حبراً على ورق او تنفذ جميع مواده ومعانيه وفي ذلك قال
 صوت باشا مابلي

« ليس الدستور وعداً من الوعود او اقتراحاً من
 الاقتراحات بل هو عمل يحيط الدولة بأسرها ويشمل الرعايا باجمعها
 والاهالي والحكومة وجلالة السلطان معاً وانهم فيه متضافرون
 ومتضامنون ومتحدون فلا تحركه حينئذ قوة ولا يزغزه عامل
 وحيث ان الاعمال بالرجال فالمأمول من غيره صدرنا مدحت
 باشا وهمته ان يدوم الدستور مادام هو في قيد الحياة وبعده ولقد
 تحققت اماله فلا تعسر عليه صيانه وحمايته من العبث به
 ومن طوارق الحدثان والامل وطيد انه يقوم بواجباته بسهولة
 حيث لا يقنضى له سوى توسيع باكورة الاستعدادات التي
 اعدّها والنظامات التي رتبها سابقاً وقرن فيها العلم بالعمل
 فالمهمة بلا جدال عسيرة ولكن يسهلها حزم مدحت وعزمه
 هذا ولا سيما ان حوله كثيراً من الاحرار المخلصين الذين يشاركونه
 في العمل وهو يدرهمهم ويمرنهم في سبيل خدمة الوطن

وقد قال مدحت لبعض اصدقائه في ليلة عيد الدستور
العثماني ما يلي :

« لا تظن اني احسب نفسي مصلح الدولة الا اني في
الحقيقة لا اتاخر لحظة ولا ارجع قدماً عن اجراء ما كلفني به
الحكومة والانسانية واما المنشور العالي الذي احيل الي لتنفيذ
معانيه فسانفذه بروحه وحروفه »
فانظروا ما تحت هذا القول من التواضع والشهامة والروح
الشريفة

مدحت في مدرسة الكلكخانه

قد نقلنا الحكاية الالية لما فيها من الايات البينات الحرة
زار مدحت مدرسة الكلكخانه وخطب في تلاميذها ونظر
فيها غلاما في الاثني عشر عاماً وعليه رتبة جاويشيه فتقرب منه
وسأله

ما هو اسمك يا ولدي

— بوركي افندم

— ومن بعدك في الرتبة يا ابني

— احمد افندم

فقال مدحت جد بوركي واجتهد فمن الضروري ان
يكون اعلى رتبة من سواه ثم التفت نحو الجمهور الذي كان حوله
قائلا «

« هكذا اود ان انظر في الدولة كافة العناصر من مسلمين
ومسيحيين وموسويين وغيرهم مختلطين في صف واحد بلا فارق
يفرقهم ولا امتياز يميزهم سوى الرتبة التي لا تعطي الا بنسبة
النقدم والرقى في العلوم والافعال المشكورة »

هذا ما قاله مدحت فانظروا ما تحت هذه الالفاظ من

الحكمة

مدحت ورفعت باشا

بعث مدحت خطاباً الى رفعت باشا والي ولاية الدانوب
جاء فيه ما معناه

« بمنه تعالى قد اسند الي منصب الصدارة العظمى وايمكن
معلوماً انه في عصرنا هذا يجب على موظفي الحكومة ان يقوموا
بما عهد اليهم من الخدم باخلاص وامانة وشرف هذه الاخلاق
التي تزين الانسانية فالذين يعملون بها انهم لصالحون وبمراعاة
القوانين يسود العدل في البلاد وتسعد العباد » هذا ما
كتبه مدحت لرفعت باشا والي ولايه الدانوب منبهاً بصيانة العدل
الذي هو اساس الملك

مدحت والمالية العثمانية

{ اشتهر مدحت باشا بشدة مراقبته للمالية العثمانية

ومراعاة لاحكام الاقتصاد السياسي ومن جملة اجراءاته في
سبيل تقدم المالية العثمانية ونجاحها المذكورة التي بهتها الى البنك
العثماني يلغي قانون ٦ اكتوبر المالي منها قوله

« انه من واجبات الحكومة الحاضرة ان تنظر في تعديل
نظاماتها لتكون مطابقة للبادي الدستورية ولذلك قد الغينا قانون
٦ اكتوبر سنة ١٨٧٥ المالي الذي هدم كيان اقتصادنا السيامي
فلا يعمل به وقد اخذت حكومة الاستانة على عاتقها ان
تضع نظاماً وتعرضه على مجلس الامة وسيكون بلا شك ضامناً
لحقوق ومصالح الدول القابضة على زمام الدين العمومي مع
المحافظة في الوقت نفسه على حقوق دولتنا العلية » فيستفاد مما
تقدم ان اول باب طرقة مدحت من ابواب الاصلاح بعد اعلان
الدستور كان باب الاقتصاد لاصلاح المالية العثمانية مباشرة وفي هذا
العمل خطة سيامي حكيم واداري عظيم لانه وضع على بساط
البحث والتدقيق روح الامة العثمانية الا وهي مالياتها

آخر ايام مدحت

جاهد مدحت جهاد الابطال معظم حياته حتى اصلح
ونظم ورقى شؤون الدولة وانقذها من مشاكل خطيرة فقرت
عينه وطابت نفسه وانشرح صدره لما رأى ثمرة جهاده الطويل
اعلان الدستور وتمتع الامة بالحرية والعدالة والمساواة
ولقد جرت الانتخابات النيابية في جميع الممالك المحروسة
واختارت الامة من يمثلها في مجلسها النيابي وما هي الا بضعة
شهور حتى كان المجلس النيابي منعقداً في دار السعادة وعاصمة
السلطنة وبدأت جلساته فانجهت انظار العالم اليه واصغت
الاسماع الى ما يدور فيه فكانت مناقشاته من خير ما يجري في
المجالس النيابية فكان ذلك فالأحسناً يبشر بحسن المستقبل
وسرعة رقي الدولة ونجاحها وفلاح الامة وسعادتها
ولكن ابت حوادث الليالي وتقلبات الايام مسالة الدولة
العلية ومصافاتها وافساح الوقت لها حتى نتمكن من بلوغ الشأو

البعيد والغاية المطلوبة

فبينما الأمة تفرح بالدستور وتهللى له والنواب يقومون
 بأعمالهم خير قيام ليضمنوا للدولة مستقبلاً زاهراً باهراً
 ومدحت يرجو المستقبل العظيم لدولته والعز والاقبال لامته
 وإذا بالمعوقات ظهرت فجأة في سبيل تلك النهضة واندفع عليها
 تيار المشاكل من قبيل دولة روسيا فجمعة عليها بسياساتها ونفوذها
 وانذارها ووعيدها وتذمرها واحتجاجها وفتحت للمشاكل
 والازمات كل باب مغلق وعرضت على الحكومة السنية مطالب
 لا يمكن قبولها فرأى نواب الأمة ان شرف المملكة العثمانية أعظم
 من ان ترضخ الحكومة وتذعن لمطالب دولة روسيا
 فعليه نشبت تلك الحرب الهائلة الشهيرة بين دولة روسيا
 والدولة العلية

وفي تلك المناسبة لم يشعر النواب الا وقد اصدر السلطان عبد
 الحميد خان أمراً بجعل المجلس الى اجل غير مسمى بدعوى
 ان الحرب تتطلب السرعة في الاعمال فلا يسمع الحكومة ان
 تعرض كل شيء على مجلس النواب للتصديق عليه

ولكن حل المجلس كان بالرغم عن هذه الحجة بشكل دل على
 ان انصار الاستبداد واعوان الحكم المطلق اغتنموا الفرصة
 ولعبوا دوراً مهماً وعند ذلك شعر النواب بالضغط والاضطهاد
 فتشتتوا ايدي سباً وهكذا كان عمر الدستور العثماني الاول قصيراً
 لسوء حظ الدولة والامة

ورأى اعوان الحكم المطلق ايضاً ان الفرصة سانحة للقضاء
 على مدحت لان في القضاء عليه قضاء تاماً على الدستور فعملوا
 يدبرون له المكائد واتهموه بتهمة اشتهر امرها وعرفها الخاص
 والعام . فنتي مدحت الى الطائف حيث سجن في قلعتها ثم
 قضى عليه فيها فراح ذلك المصاح العظيم شهيد المروءة والشهامة
 والاخلاص وضحية الدستور العثماني والحريية والاخاء والمساواة
 قضى ومجده ليس بالفاني فكان ذلك حظه بعد جهاده الطويل
 وقضت الامة بعده ثلاثة وثلاثين عاماً راسخة في قيود الظلم
 والجور حتى من الله عليها بالخلاص وقام من بينها من دكوا
 ضروح الاستبداد واعادوا الدستور فاعادوا معه ذكر مدحت
 وهو نعم الذكر الخالد لجيل بعد جيل

تركيا الفتاة

« او جمعية الاتحاد والترقي »

ظهر حزب تركيا الفتاة من منذ سنة ١٨٦٠ وكان فيه رجال من ارباب العلوم واهل الآداب والوفاق ومن عناصر مختلفة اي من مسلمين وغير مسلمين الذين جاهدوا بصبر وروح قوية في سبيل خدمة الانسانية وانتقدوا جهاراً الخط الهايوني ان نظاماته غير كافية لحياء الامة ومراقبة اعمال ولاية الامور التي هي من الزم لوازم الحياة الاجتماعية ومن ضروريات المنافع العمومية فكان مدحت القوة العاملة في هذه المبادي الحرة الا انه في الوسط الذي كان فيه استنشق هبوب ثورة هائلة فقاومها جهد طاقته لانه كان رجلاً عصامياً محتسباً بالله ومعتصماً به

فمبولة كانت كما تقدم ذكرها عبارة عن تأسيس حكومة شوروية عادلة ومقبولة فجعل يسكن حرارة رجال تركيا

الفتاة الاحرار بقوله الصبر نصير العقلاء واقنعهم بتأجيل
تنفيذ مآربهم الى وقت يأتي بالمطلوب حيث كانت المواد
المقتضية لادخال الحكم النيابي في نظره غير كاملة وبوجه
الاجمال غير كافية لسد العجز الذي فيها ومراقبة سنوح
الفرصة حتى تستقل فيها الدولة من دور الى دور غيره بامان
واطمئنان .

فقال لهم ذات يوم ما معناه :

اصدقائي الاعزاء

ان من نظر الى الامام وفكر في حوادث الايام فهل
يجني الثمر من غير زرع التقاوي حاشا وكلا فلا ينجح
الامل الا بالعمل والصبر على قول الشاعر
لا تسهّلن الصعب او ادرك المنى

فما انقادت الآمال الا لصابر

فعليه متى تمت الاستعدادات وصارت البلاد سالحة
لقبول النظام الدستوري فحينئذ نفوز بما نتمناه كما دلت
الحوادث والعبر في كل زمان ومكان

نخطة الاصلاحات التي نحن عليها الآن اوفى بالغرض
واكفل للنجاح فلا ينجح املنا الا بالصبر والتأني فتعال
الاماني ونبلغ الامل ان شاء الله

هذا ما قاله مدحت لرجال تركيا الفتاة في سنة ١٨٥٧
فانظروا ما فيه من الآيات والحكم

ومن ينظر الى اعمال تركيا الفتاة او جمعية الاتحاد
والترقي يعتقد ان ارادتها وسعيها من سنة ١٨٦٠
الى الان في سبيل الخير لوطنها ناشئة عن حبها له ولولا
حب الوطن لما عمرت البلاد ولا استراح العباد فمدافعة
رجال تركيا الفتاة دامت مدة خمسين سنة من عساكر وقواد
وعلماء واعيان عن الاوطان منهم من ضحى نفسه ومنهم
من ضحى ماله ومنهم من ضحى علمه عن مكارم اخلاقهم
وحسن عهدهم وشدة محبتهم لوطنهم هذا مما لا ينكره الا الجاهلون
لقد سعت جمعية الاتحاد والترقي الى قلب نظام الدولة
وتأسيسه من جديد وقيامه على مبادي العدالة والمساواة والاخاء
ان مسألة الدستور في الدولة العلية لعبت كما رأينا دوراً

مهماً ووجهت اليها التفات العالم اجمع والان يعدون
انصاره في مقدمة الطبقات الراقية مثل مدحت باشا روح
الدستور العثماني ومثل الوزير الخطير محمود شوكت باشا
ومثل نيازي بك الشجاع المقدام الذي ملك قلوب الجيش
العثماني وقواده ومثل انور بك الذي جاهد بنفسه وعلو
همته ومن آيات كلامه وبيناته انه قال .

« ما تحصلنا على هذه النعمة الا بالاتفاق والاتحاد »
ومثل كافة اعضاء هذه الجمعية الذين يضحون ارواحهم
في سبيل خدمة الوطن ومجده .

فيجب على كافة من تخلق بالاخلاق العثمانية مع
اختلاف الجنسية بذل الجهد في خدمة الوطن

وما هذا الا بخدمة العلوم والمعارف لانها تطهر البلاد
من الاغراض وتعلم اهلها ما لهم وما عليهم من الواجبات نحو
الامة والوطن .

تركيب الفتاة والدستور

بمنة تعالى وبفضل جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد نلنا
 نعمة الدستور وجنيننا ثمرة ما غرسه مدحت باشا في وطننا فيجب
 علينا ان نسطر ذكره في صدر التاريخ بحروف من ذهب
 ومن راقب اعمال جمعية الاتحاد والترقي العثمانية وامعن
 النظر في كافة تنظيماتها وكيفية سيرها في تقدم البلاد يجد
 انها تشتغل تحت تاثير قوة محركة هائلة ومن يتصفح التاريخ
 بامعان يجد ان الباعث لهذه النهضة الشريفة والعامل فيها
 هي روح مدحت باشا نفسها بما فيها من النشاط والحزم ما يبهير
 العقول ويمجى الافكار ويطرح المشاهد لهذه الجمعية الحرة في
 الحرية والذهول قائلاً سبحان من يحيي العظام وهي رميم
 زرع مدحت باشا بزررة فوجدت هذه البزررة حقلاً قابلاً
 للزراعة والفلاحة فنشأت فيها ومنت وغدت شجرة عظيمة
 واثرت ثمرًا حسنًا وامتدت فروعها شرقًا وغربًا وطولاً وعرضاً

واخذت تحت ظلها ثلاثين مليوناً من النفوس وما ادراك ما هذه
الشجرة هي الدستور العثماني وما ادراك ما هذه البزرة هي روح
مدحت باشا *في كسبه الحكمة*

انت جمعية الاتحاد والترقي في الدولة العثمانية حركة
تستحق اعجاب العالمين وما تلك الا حركة وطنية مباركة تدل
على ما فيها من المواطف الشريفة والغيرة الوطنية الصحيحة
هاجر رجال تركيا الفتاة من وطنهم وصاروا ينتقدون
الحكومة والنواكيا واصدروا جرائد وكان عدد اعضاء هذا
الحزب يزيد عن الالاف من طبقات الامة ولا فرق فيهم بين
ارمني وموسوي ومحمدي ولذلك اصبح جهدهم مكلاً بالظفر
ولولا الحصول على الدستور لضاعت البلاد وهلكت العباد فيجب
علينا المحافظة عليه ووقايته من كل خال يتطرق اليه وان نفدت
الاموال والارواح دون ذلك

الدستور

هذه اللفظة اهتمت لها الافلاك واقامت لها الاعلام وغضب
 عليها الكثيرون ورضي الاكثرون وما ادراك ما هو الدستور
 وبعبارة اوضح واصرح ما هو القانون الاساسي فالجواب على
 سؤالنا هذه كالجواب على سؤالنا ما هو الصنف الفرنسي او
 الانكليزي او الايطالياني او العربي فالصنف عبارة عن مجموع
 القواعد التي يلزم اتباعها ليكون الانسان مصوناً من الغلط في
 الكتابة والانشاء فالدستور العثماني او الفرنسي او الانكليزي
 او الايطالياني كناية عن مجموع قوانين ونظامات الدولة التي
 يجب اتباعها ليكون الانسان في طريق العدالة والمساواة والاخاء
 ويعرف ما له وما عليه من الواجبات والحقوق في الهيئة
 الاجتماعية بدون تمييز الكبير عن الصغير والتاجر عن الوزير
 فالدستور يساوي الجميع

ثم ان هذه اللفظة البسيطة تتضمن سلسلة روايات تاريخية موهمة وبعبارة اصرح واوضح رواية جرت فيها دماء الوف موهلة من الناس الابرياء الذين جاهدوا في سبيلها اولئك الابطال الذين ساروا على مبدأ شريف ونظام منير وحصروا موادها في الالفاظ الاتية حربة مساوئه اخاء

ما الطف هذه الالفاظ وافخرها وابهاها واجملها ان هذه الالفاظ البسيطة فيها الروح الشريفة والشجاعة الادبية روح مدحت باشا السامية التي اقدمت على تطهير البلاد وتنظيف الفساد الذي تراكم في عهده وثبتت روح الالفه والمحبة وحثت الحكومة في سبيل العدالة والمساواة والاخاء التي هي اساس الملك واننا لو القينا نظرة على تاريخ ارتقاء الامم وتدرجها في مدارج النجاح نجد ان الدستور في جميع هذه الامم كان سبب تقدمها ورفعتها الى قمة الكمال ولو نظرنا بعين الحقيقة لوجدنا على حد قول المرحوم مدحت باشا ان الدستور عبارة عن سراج منير ارسل اشعته الساطعة فانار الامم وهدى النفوس وقطع دابر

الاستبداد وطهر الانسانية من ادران الشقاق وهذا السراج او
هذا الدستور مقبول ومشكور من الاوائل والواخر ولو
رجعنا الى اقوال علي رضي الله عنه وطالعنا تلك الالفاظ
الذهبية التي ما زالت الى الان ترن في الاذان لوجدناه
يقول :

(نعم الموازنة المشاورة وبش الاستعباد الاستبداد) فالتأمل
في هذه الحكمة العالية يجد انها من اسمى الكمال وتاج الاحكام
والحكم

وقد تمثل ذلك كل التمثيل وازهرت ازهاره العاطرة في كلام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه امر بتأسيس مجلس شوري
بعد موته ل ينتخب من كان ابراً وقد انتخب عثمان رضي الله
عنه ولم يقطع دابر الاستبداد الا الشورى

فقال الشاعر :

الرأي كالليل مسود جوانبه
والليل لا ينجلي الا باصباح

فاضمم مصاييح اراء الرجال الى

مصباح رايتك تزدد ضوء مصباح

فعلى خطة هذه الآيات الحكيمة الادبية سارت الامم
الاجنبية ونجحت مقاصدها وعلت الى ذروة العلا واورج السعادة

الجمعية وعيد الدستور

بفيضه الرباني وعناية جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد
انتصر الشعب في هذا اليوم المبارك هذا اليوم الذي فيه بزغت
شمس العدالة والمساواة والاخاء بعد ما توارت في الافق المظلم
مدة ثلاثين عاماً فظهرت من بين الغيوم المتراكمة روح مدحت
باشا تلك الشمس المنيرة فانعشت الارواح وازالت الاتراح
والبست جميع العناصر العثمانية ثياب السرور وادارت عليهم
كوه وس التهانى بصفاء وجبور حتى انارت البلاد بشعاعها اللامع

ونورها الساطع فعم الابتهاج من المشرق الى المغرب وسار
 في الامم سريان الكواكب في عالم الافلاك .
 اتاح الله لنا بهمة جمعية الاتحاد والترقي العثمانية وجيشنا
 المظفر هذا اليوم الذي فيه غنت الاطيار على الاغصان والبلابل
 على الاشجار والانام على الاوتار فشكرت البلاد والعباد هذه
 النعمة وحمدوا المولى .

بهمة الوزير الخطير محمود شوكت باشا وعنايته مع سائر
 القواد البواسل هذا اليوم قطع دابر الاستبداد في كل البلاد
 وصاح في العباد :

« ايا عباد اتقوا . ويا عدالة انهضي . ويا حرية اجلسي
 على عرشك المتين فللاستبداد زمان انصرم والدسايس حبل
 انقطع فاليوم يوم الحرية والمساواة والاخاء فلا اعاد الله
 التفريق والشقاء والظلم والجفاء والجور والعناء ثم كشف لنا
 الستار وجمع شملنا واطرح الاوهام واكثر الال وربط العناصر
 وشد ازرها ورفع الافكار الى اوج الكمال وذروة المجد
 ولافتخار بفضل عساكرنا الاحرار فصار كل عثماني يفتخر

بجنسيته ويمشي في نعيم ظل رايته ويمدح جلاله سلطانه
 الدستوري وجمعية الاتحاد والترقي فالحرية شعارها الشريف
 والمساواة آيتهما الكريمة والاخاء عروتهما الوثيقة فالواجب
 على كل عثماني غيور في كل عام في هذا اليوم ان ينشد اناشيد
 الحرية وتلى آيات المساواة تحت لواء الاخاء خصوصاً
 نحن في عصر منير والحمد لله الا وهو عصر جلاله سلطاننا
 الاعظم محمد رشاد الخامس أيد الله ملكه ورجاله الاحرار

✽ الجمعية وجلالة السلطان ✽

هذا وقد نقلنا نتفاً من الاحتفال بعيد الدستور العثماني
 في الاستانة العلية في كتابنا لآظهار ما هو عليه جلاله
 سلطاننا الاعظم محمد رشاد الخامس من الافكار السامية والمحبة
 والاخلاص نحو الامة والوطن العزيز

في يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٩ اذ كانت الساعة
الواحدة صباحاً احتفل على هضبة الحرية التي دفن عليها
المجاهدون في ثورة ١٣ ابريل المشهورة بوضع الحجر الاساسي
لبناء الحرية الذي شيد تذكراً لاولئك الابطال شهداء الحرية
والمساواة والاخاء وقد وضع هذا الحجر جلالة السلطان الاعظم
محمد رشاد الخامس بيده الشريفة هذا وان اللجنة التي انفذتها
جمعية تركيا الفتاة او الاتحاد والترقي الى الاستانة العلية
لرفع التهناني الى جلالة السلطان بالعيد الجليل عيد الدستور
العثماني المكرم وصلت الى الاستانة وتشرفت بالتمثيل بين يديه
فقال رئيس الهيئة .

« نرفع الى اعتباركم العالية وانت اول سلطان دستوري
عريضة التهنئة التي حملتنا اياها جمعية الاتحاد والترقي العثمانية
منضمنة الخالص من تهانئها بهذا العيد المبارك وهبك الله زيادة
العمر والرفاهية والسرور »

ثم تناول جلالة السلطان العريضة قائلاً
« وانا قبلت تهنئتكم واشكركم وخطب عليهم الخطبة

الآية . العدل والمساواة والاخاء الفاظ سامية ولا شك في
ان السعادة تحصل في البلاد بقدر فهم معاني هذه الكلمات
وانكم لجديرون بالتهنئة لسعيكم في توطيد اركان هذه القواعد
الذهبية ولاظهاركم المحبة والاخلاص في هذا السبيل واني لامل
انه سينال العثمانيون الخير والسعادة ما توطدت في سلطتنا قوانين
الدستور وارجو ذلك من لطف الله وعنايته تعالى

انا خلقت ورلدت دستورياً طبعاً وقد قضى الله ان اكون
ملكاً في عهد الدستور والحمد لله على انعامه . هذا وثقوا لو
كنت سلطاناً في دور الاستبداد لو هبت الدستور من تلقاء
نفسي لقد كان العهد الماضي يكدرني ويسوءني ولكن كان المقدر
تجلى ارادته سبحانه عز وجل في هذا الزمان وسننال كلنا السعادة
ان شاء الله فبلغوا سائر اخوانكم سلامي واخلاصي .

وقد قالوا اني تعبت حين وضعت الحجر والتراب في اساس
بناء الحرية قلت كلا وحاشا فنانقل الحجر ليتعبني وانا لو انشأت
وبنيت هذا البناء وحدي لما قضيت حق اولئك الابطال
شهداء الدستور العثماني »

نخرجت اللجنة من بين يدي جلالته وهي السن ناطقة
بالدعاء له بطول البقاء لما شهدت من مكارم الاخلاق والوفاء
والشعور والشفقة .

✽ الجمعية ودول اوروبا ✽

سعى رجال جمعية الاتحاد والترقي مثل المرحوم مدحت
باشا ومثل الوزير الخطير محمود شوكت باشا ومثل الابطال
نيازي بك وانور بك وسائر اعضاء هذه الجمعية وبذلوا
النفس والنفيس في سبيل خدمة الانسانية وشرف الوطن
ومجده وكرامته في الداخل والخارج

لان للجمعية مقصدين احدهما داخلي والاخر خارجي
فالداخلي صيانة الوطن في الداخل والخارجي المحافظة على
كرامته وشرفه في الخارج وان الجيش العثماني المظفر وقواده
الاحرار لجديرون بصيانه في الداخل والخارج وجمعية الاتحاد

والترقي ورجالها الكرام قادرون على حفظ كرامة الوطن ومجده
امام الدول

هذا وبفضل جمعية الاتحاد والترقي العثمانية اصبحت اليوم
الدول تشكر اعمال رجالنا الاحرار وتعطف عليهم وتريد
مساعدتهم وتستقبلهم باجلال والاكرام في اندية اوروبا
السياسية .

لما نالت دول اوربا مجالسها النيابية لم تكن هيئة
الاجماع فيها اكثر حضارة واسى مدينة مما نحن فيه اليوم
ومن تصفح تاريخها وجد ان هذا القول له من الادلة
مقدار كاف لاثباته فالיום عندنا رجال من فطاحل السياسيين
واهل الشجاعة والاقدام من السواس العظام الذين بلغوا
الغاية القصوى في الخنكة والعرفان مثل ناظر الخيرية محمود
شوكت باشا وناظر المالىه جاويد بك وناظر الداخلية طلعت
بك وسائر الوزراء الذين في امكانهم ان يضمنوا لنا المركز
السياسي الذي يوءل دولتنا لان تكون في مصاف الدول
الغربية هذا وجيشنا المدرب والمنظم على آخر طرز في

العلوم الحربية هو الجيش الذي خاض الحروب الهائلة
 والمعامع الطائلة في امكانه ان يحافظ على املاك دولتنا العلية
 في الداخل وكرامتها في الخارج وله من الاختبار والتجربة
 ما يجعله في اول طبقة بين صفوف جيوش العالم المتمدن
 وجملة القول اننا رأينا في عهد الدستور من الجمعية من
 الاصلاح الداخلي والاقبال الخارجي ما لم نر شيئاً منه في
 العهد الماضي فكانت الدول الاجنبية واقفة لنا بالمرصاد
 فاليوم تشكرنا وتساعدنا طوراً ادياً وطوراً مادياً فالحمد لله
 على نعمه وآلائه .

✽ الجمعية والاحزاب السياسية ✽

وجود الاحزاب ما تقتضيه الحال في كل بلاد
 دستورية فقد كان حزب تركيا الفتاة او جمعية الاتحاد
 والترقي اول حزب تكون في الدولة العلية من منذ سنة

١٨٦٠ كما رأينا في هذا التاريخ ان هذا الحزب الذي
 جاهد جهاد الابطال حتى اعلن رجاله الدستور
 العثماني وحققوا الامال بما بذلوه من الارواح والاموال
 ونقص ظل العبودية والاستبداد وخفقت اعلام الحرية
 وسارت العباد في نهضتها الحديثة نهضة الكمال الحقيقي فتلاه
 الحزب الحر وجعل يقاوم حزب الاتحاد والترقي مقاومة
 عنيفة مقاومة العدو للعدو حتى افضت الى اوخم
 العواقب وجرت فتنة ابريل المعلومه والمشهورة وقضى بعد
 تلك الثورة على الحزب الحر فلم يبق له اثر في الوجود . ثم رأى
 نواب الامه من الضرورة وجود احزاب في البرلمان فعليه
 تشكل حزبان حزب المحافظين وحزب الحر المعتدل
 فاصبحت الاحزاب في مجلس النواب ثلاثة حزب الاتحاد
 والترقي وحزب المحافظين والحزب الحر المعتدل الذي الفه نواب
الولايات العربية

حزب الاتحاد والترقي يدافع عن الحقوق المضمومة عامه
 والحزب الحر المعتدل يدافع ايضاً عن حقوق ابناء الوطن

عامه ومنافع ابناء العرب خاصة والجميع يشغلون لغرض
 واحد الا وهو المحافظة على القانون الاساسي ووقايته من
 كل طاريء بتطرق اليه والمجاهدة في سبيل تقدم الاوطان
 فما على احزاب عناصرنا بعز يز وقد شهدت لها فطاحل السياسة
 مثل لامارتين في مدحه العنصر التركي مدحا يذكر بافتخار
 ومثل اللورد كرومر في ثنائه على العنصر العربي وفطرتة
 الطبيعية فيجب على العنصرين ان يتفقا ويتخذا في المحبة والوئام
 وينظرا في الشؤون الحاضرة وما يعول عليه في راحة الرعية وسعادتها
 بنقدم العلوم ونشر المعارف واحياء الزراعة وبث روح الالفة
 والمحبة بين العناصر وليس هذا ببعيد ان شاء الله حفظهم المولى
 اجمعين وصان دولتنا وجلالة مولانا السلطان الاعظم محمد
 رشاد الخامس اطال الله بقاءه امين

✽ جمعية الاتحاد والترقي والوطن ✽

مرت علينا سنون مديدة ونحن في الدولة العلية العثمانية
 متمتعون بجلل الرفاهية ساهرون بامان نائمون باطمئنان اكلون من
 خير البلاد شاربون ماءها من موردها العذب مستنشقون الهواء
 الذي هو ارق من النسيم وفيها اطعمنا الفلاح غلاته وسقنا المبان
 من لبنه وحمانا الجيش في حمى حمايته وحرسنا الحارس بحرسه
 واموالنا مصونة من كل معتد وحقوقنا محفوظة من الخطر في ظل الراية
 العثمانية فالشكر ترجمان النية ولسان الطوية ومصدر السعادة
 الابدية فما هذا الشكر الا الجندية دولتنا العلية واخواننا الاحرار
 رجال جمعية الاتحاد والترقي واذا مددنا لهم يد المساعدة لكان
 لهم الحظ الاكبر ولنا النصيب الاوفر وكل فرد من افراد الهيئه
 الاجتماعيه على قدر طاقتة فالعالم بعلمه والصانع بصناعته
 والتاجر بتجارته وماله والشجاع بشجاعته وانتم يا معشر
 العثمانيين احق من يتحلى بهذه الفضائل وبذل الجهد والاجتهاد

في تقدم الاوطان لقد ان الاوان وحل الزمان لنشكر دولتنا
ونحمد ما خدمة صادقة

فيجب علينا ان نظهر الغيرة نحو الوطنية والحمية والتعقل
في كافة اعمالنا ونعيش في دائرة الدين والادب

وان نسعى في كل ما يعود على وطننا بالخير لنكون
عونا لجمعية الاتحاد والترقي ونسبل لها سبيل خدمتها لنقوم
بواجباتها المقدسة خير قيام لقد نلنا بفضلها حرية الفكر
وحرية العمل وحرية الاجتماع وحرية الاعتقاد وحرية
اللسان وحرية لا تمد ولا تحصى ومنها حرية التعلم والتعليم
لكي نستفيد ونفيد وننتقل من دائرة العلم الى دائرة العمل
على حد قول الشاعر

علم بلا عمل لا تستفيد به

ولا تفيد فتعفى خائب الامل

فسمادة الانسان مقرونة ومرتبطة بسعادة وطنه والانسان
العامل في وطنه هو الامة لان الامة هي العمل ومن لم

يعمل ويخدم وطنه فقدمه خير من حياته والوطن عائلة
 اذا اصاب احد افرادها خيراً تمتعوا به جميعاً لذلك يجب
 علينا ان نشترك باصلاح ما هو فاسد في دولتنا ونمد يد
 المساعدة لجمعية الاتحاد والترقي في مضار تقدم الشعب الصابر
 صبر الكرام

✽ الزراعة ✽

نهضت حكومة الاستانة اليوم نهضتها الاقتصادية الزراعية
 وقررت اموراً كثيرة اهمها انشاء مكاتب في قسطنطيني وسيروز
 وطرابلس الغرب لتعليم الاهالي استعمال الآلات الزراعية
 وقررت ايضاً جعل المدرسة الصناعية في سلانيك مدرسة
 عالية لتعليم فن الزراعة وتطبيق العلم على العمل واستقر رأيها
 بانشاء مدارس زراعية جديدة في ادرنه وبغداد ودمشق وفتح
 مخازن للآلات الزراعية في حلب وويانيه وبتليس ووان
 وقسطنطيني ومعموره العزيز ودمشق الشام . فاهتمت حكومة
 الاستانة اهتماماً لم يسبق له نظير في الشؤون الزراعية حيث
 انها المصدر الاول لحياة دولتنا العلية وفيها فائدتان الاولى

تقوية الفلاح ونهضته وسد حاجاته والثانية توفير اسباب سعادة الدولة التي لا دواء لها الا باصلاح حال المزروعات وتوفير المال اللازم لتقوية الفلاح بانشاء النقابات الزراعية في جميع الولايات . ما تقدمت الزراعة في البلاد الاجنبية الا بايجادهم النقابات الزراعية والشركات العقارية في كل قرية ومكان فهو كناية عن شراء ما يلزم للزراعة كالمواشي وطعام المواشي والآلات الزراعية والتقاوي فيجب علينا التعاضد والتضافر والاتحاد لايجاد مثل هذه النقابات النافعة وفيها خدمه للدولة وسد لحاجة الفلاح وان اصغر تاجر من تجار الدولة يمكنه ان يجعل سهماً من اسهم هذه النقابة فاذا نجح الفلاح نجح التاجر واذا نجح التاجر نجحت هيئة الاجتماع واذا نجحت هيئة الاجتماع نجحت الحكومة وتوفرت سعادة الدولة فانهمضوا ايها الممولون لايجاد هذه النقابات الزراعية وهي خير لكم وبركة لاولادكم وخدمة لدولتكم والله يوفقنا الى ما به خير البلاد والعباد

✽ الاتحاد ✽

ان الاتحاد شريعة بمقتضاها نتخاب الاقوام وتتعاضد

وبعبارة اصرح لا شيء اخر سوى محبة قلبية حقيقية مادية
ومعنوية واجبة على الانسان مهما كانت بدون امتياز وما
هذه المحبة الا السير في سبيل خدمة الانسانية وبما انه لا يمكن
لفرد من افراد الهيئة الاجتماعية ان يقوم وحده بالمهمات العالية
والوظائف الخطيرة والاعمال المبرورة والمسااعي المشكورة هذه
الفضائل التي هي من الزم لوازم الجامعة الانسانية فمن الضرورة
ان يتحد هو واخوانه اهل الفضل والاحسان والآداب والعرفان
على اتمام المشروعات الجليلة والاغراض السامية التي بها تعمر
البلاد وترتقي الشعوب

ويد الله مع الجماعة

« وان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً »

فطبقاً لهذه المبادئ السامية قد تأسست جمعية الاتحاد
والترقي من منذ خمسين عاماً وخاضت بحور البر والاحسان
بهمة رجالها الاحرار الذين قالوا ما نلنا نعمه الدستور الا بالاتحاد
وقاموا بمهمات فائقة واعمال شائقة تستحق جزيل الثناء والشكر ان
حتى اصبحوا المثل الاعلى بالشهامة والشجاعة واصالة الرأي

ففسأله جل شأنه ان يوفق اعمالهم للقيام بالتضافر والاتحاد في
سبيل خدمه الانسانيه والوطن ويرشدنا الى ما فيه سعادة اخواننا
العثمانيين بظل جلاله سلطاننا المحبوب محمد رشاد الخامس حامي
حمي المعارف والاحكام حامل لواء العدل والنظام مكررين الدعاء
له ان يطيل عمره وعمر انجالة

✽ البحرية العثمانية ✽

ان الاسطول هو القوة البحرية وما احوج الدولة العلية
الى تلك القوة في هذا الزمان الذي فيه تتسابق الدول باجمعها في
تعمير اساطيلها وانشاء مدرعاتها الكبيرة وتقوية بحريتها ما احوج
الدولة الى اسطول عظيم يوءد رايستها في البحار ويخفر
شطوطها وهو لها من الخوف امان ومن الشر عصمة وصيانة
وللسكينة ضمان فيعزز مصالحها ويرفع مقامها ويبقى الهيبة في نفوس
الدول فتعدل عن كل مطمع وتقف عن كل مطمح وهو اقوى
كفيل مع الجيش بوقاية الدولة من كل خطر

ان للدولة العلية جيشاً جراراً عظيماً بامسلاً ضربت بشجاعته
الامثال وشهدت بقوته التواريخ الا ان القوة البرية لا تكون في

عصرنا هذا كافية ولا بد من ان يكون لها شقيقة في البحار
ومتى اجتمعت القوتان تصبح الدولة في زمان قريب سيدة
مياهاها وتتلأ ابصار الدول الكبرى والصغرى معاً و يصبح مقامها
سامياً ونفوذها عظيماً وتتغلب على كل دولة طامعة ولو كانت
اعظم دول الغرب ويكون لها كلمة مسموعة عند الدول باسرها
وشأن خطير في السياسة الدولية ان شاء الله

لذلك يجب علينا نحن معشر العثمانيين عموماً ان لا نبخل
بما في استطاعتنا لمساعدة اسطول دلتنا العلية :

لا يكلف الله نفساً الا ما في وسعها

فكل واحد على قدر امكانه من عظيمنا وحقيرنا وغنينا وفقيرنا
ورجالنا ونسائنا ان تقدم الاموال لانشاء البوارج والدوارع ما من
مسئلة ذات شان الا كانت هذه فوقها نسأل الله ان يبلغنا ما
نرومه ونرجوه امين

✽ الجندية العثمانية ✽

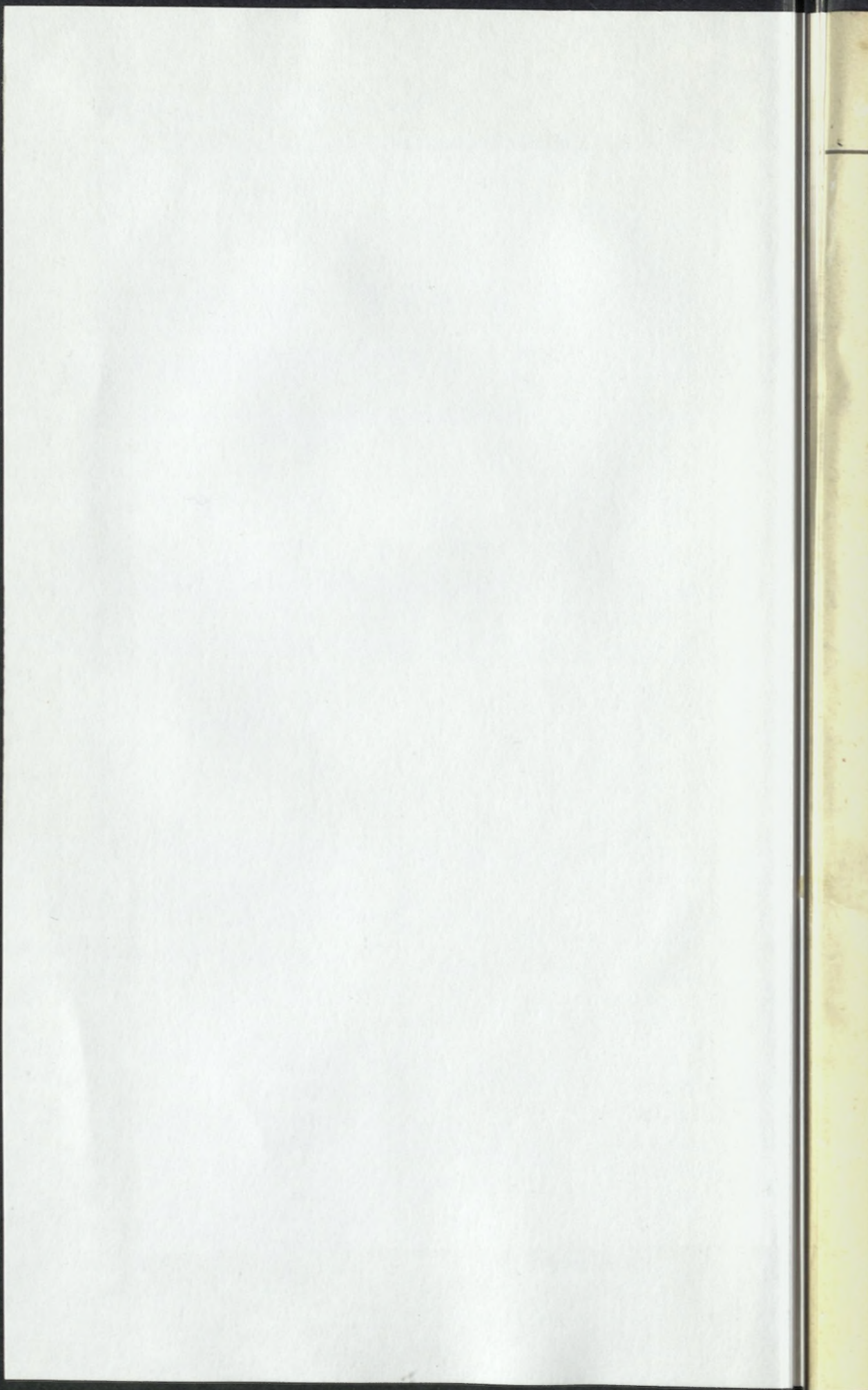
ان الجيش هو القوة البرية وما احوج الدولة الى تلك القوة
في هذا الزمان ما احوجها الى جيش جرار منظم يوطد الامن

في البلاد ويخفف حدودها ويقوي نفوذها ويرفع شأنها ويملا
 ابصار أعدائها فيعدلوا عن كل مطامع .
 ان لدى الدولة العلية جيشاً عظيماً ضربت بقوته الامثال
 وهو يستطيع منازلة اعظم جيوش العالم تعود الكفاح في المواقع
 والمعامع فيجب ان تهتم بالجيش اعظم اهتمام حتى يكون الجيش
 العثماني المظفر في مقدمة الجيوش وقد شهد الصديق والعدو بان
 الجنود العثمانية ممتازة بشجاعتها وبسالتها عن سائر الجنود حتى
 ان الصفات الحربية طبع ووراثه طبيعية فيها لا تطبع وقد كان
 ينقصها حسن النظام فاليوم لا نقل نظاماً عن احسن جيش في
 اوروبا ومما يذكر في هذا الباب انه اصبحت مسألة الجنديه
 العثمانية من اكبر المسائل التي تشغل الحكومة العثمانية الان فهي
 من جهة تهتم بتنظيم جميع فيالق الجيش ومن جهة اخرى تهتم
 بادخال غير المسلمين في الجنديه العثمانية ولا بد لجميع العثمانيين
 من اي جنس ومذهب ان يدخلوا في سلك الجنديه ممتزجين
 في البلوكات والطواوير لانهم كلهم ابناء وطن واحد وان
 الحكومة العثمانية مهتمة اليوم بتسليح الجيش كله في جميع

اطراف المملكة حتى يكون عند جميع الفيالق عدتها من بطاريات
 المدافع الحديثة ومن مدافع الجبال والمدافع السريعة الانطلاق
 وحتى تكون فيالق الجيش كلها تامة النظام والمعدات الحربية
 ومتى تم ذلك اصبح الجيش العثماني في مصاف اعظم الجيوش
 بل في مقدمه الجيوش وان الدولة مهتمة اليوم بالجيش لانه
 لا بوطد دعائم الدستور الا بالجيش ولا يؤيد هلالنا الا بالجيش
 ولا يعزز شأننا الا بالجيش ولا يرفع مقامنا الا بالجيش ولا
 يكيد اعداءنا الا بالجيش وما من افتخار الا كان هذا الجيش مصدره
 وما من شرف الا كان هذا الجيش عنوانه وما من عز الا كان
 هذا الجيش سببه فانهمضوا ايها الاخوان وادخلوا في العسكرية
 العثمانية وادخدموا الدولة وابذلوا النفس والنفيس في سبيل رفعها
 الى ذروة السعادة والكمال ولذلك خير لكم وابقى
 * تهنئة لجلالة مولانا السلطان *

بشرى بذا العيد العظيم الشأن
 رقصت له طرباً بنو الاوطان
 وكذا البلابل والطبور فانها

غنت مهنئة على الاغصان
 هذا هو اليوم السعيد فانه
 قد ساد فيه العدل في البلدان
 عيد جليل قد انارت شمس
 نوراً اضا من فضله الرباني
 سبحان من يحيي الميم فانه
 احيا الاماني من بني عثمان
 فاليوم تاج للزمان يزينه
 وكذا رشاد زينة الاكوان
 ملك حوى اعلى المعالي كلها
 فوق الخيال بآية العرفان
 يسمو الانام بحكمة وفضيلة
 وزمانه من نخبة الازمان
 فادعوا له في كل حين واطلبوا
 طول البقاء لعرشه السلطاني
 عزرا ساسون



A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00458638

